المواطن

يومية وطنية مستقلة

الحق في الإعلام من الحق في الحياة

الإثنين 02 نوفمبر 2020 م الموافق لـ 16 ربيع الأول 1442 هـ

www.almouwatan.com

إشراف خالد صالح (عز الدين) khaled ezz edine

وليد دقة ..المقاوم الذي لن يهزم

■■ بقلم/ مصطفى النبيه

الأوطان أجساد، تموت بدون رجالها الذين يهبونها حبا و يفتدونها بأرواحهم .

إخواني الأسرى، يرتعش قلمي وتضيع المفردات، تهرب من مخيلتي وأنا أقف أمام تجاربكم البطولية وأسرد حكاياتكم .

يفيض بقلبي الحزن، أشعر وكأنني سارقٌ لبطولتكم ، مادام قلمي لم يحركْ ساكنا في وجه غول هذا الزمان وينتصرْ لقضيتكم العادلة ،لا أريد أن أكون مجرد كاتب يكتب مقالا يتناول حكاية ما ، أحلم أن أصنع ثورة تمنحكم الحرية ، تنتصر للحق ، فأنتم من وهبتمونا الكرامة وعلمتمونا الانتماء الحقيقي للوطن وللإنسان ، جلعتم من أجسادكم جسورا لنعبر عليها ، تحملتم الوجع وصبرتم وتحديتم غطرسة السجان وتفانيتم بالعطاء، كنتم ومازلتم مدرسة نستسقي منها مفاهيم الحرية والصمود. وأنا أكتب عن بطولتكم أشعر بالخجل من نفسي.. كيف تغط عيني في النوم وأنعم بالدفء والأمان بين عائلتي، وأعمدة الأوطان، من تجذرت أرواحهم بالأرض حتى أصبحت شجرة نستظل بها ، مازالوا يقبعون في سجون الاحتلال، يذوقون الويلات ونحن عاجزون أن نصرخ من أجلهم وننا صرهم ،على الأقل بالكلمة ، للأسف، سرقتنا الحياة ومازلنا نغرق بتفاصيلها اليومية ،أما آن لنا أنْ نخترقَ الحدود ونحلّقَ بقضيتكم العادلة في هذا الكون ؟ أليس من حق شجرة الحرية التي وهبتنا الدفء والأمان، أنْ نكافئها ونطلقَ حناجرنا لتنتصر لقضيتهم حتى نسقيها عدالة؟!

"وليد دقة "، الفدائي المشتبك ،الذي وزع نفسه بين محطات النضال، فكان بندقية الثائر وقلم العاشق، المفكر المبدع العنيد ، مازال يقف شامخا كالنخيل، ينبع حبا وعطاءً، يحمل أحلامه ليرسم ملامح فلسطين التي يعشقها، خمسة وثلاثون عاما وهو يبتكر وسائلَ نضالية ليقهر سجانه في معتقلات القهر الإسرائيلية ، يتحدى الظلم ، يناطح الظروف المجحفة ويتغنى باسم فلسطين أمام العالم .

اعتقد المحتل الظالم للحظة أنه انتصر عليه بعد أن اعتقله وسيحرمه من واجبه المقدس وحقه بالكفاح والذود عن وطنه حتى التحرير. اتهموه بعد اعتقاله هو ومجموعة من الفدائين باختطاف الجندي "موشي تمام" وقتله في مدينة "نتانيا" في أوائل عام 1985، وحكم عليهم بالسجن المؤبد مدى الحياة، أسروه لينتزعوا بندقيته ويلجموا ثورته، فلم ينهزَ على مدار خمسة وثلاثين عاما، لم يستسلم.. صنع لنفسه ألوانا من وسائل الكفاح . شارك وقاد الكثير من المعارك النضالية التي خاضتها الحركة الأسيرة دفاعاً عن منجزاتها ومكتسباتها. استل قلمه ليقول إن المثقف الثائر لن ينهزم يوما ، كتب المقالات وله العديد من المؤلفات والبحوث المهمة ومن أبرزها "صهر الوعي"، ورواية "سر إبريق الزيت". وليد دقة المفكر المقاتل، الذي لا ينهزم، أطلق قلمه ليحكي حكاية الكل الفلسطيني، ضحى بشبابه وعمره ، لم يبخلْ بعطائه ، فارق عائلته وترك ملذات الحياة خلفه من أجل فلسطين، من أجل أن يعيشَ شعبُه بسلام ،فعلينا ألا نخذلَه، وأنْ نتغنى باسمه صباحا مساءً فهو صمام الأمان لنا . وليد دقة أسطورة نضالية لن توفيه الكلماتُ حقه، فهو رجل لكل الأزمنة، دينامو الحركة النضالية في معتقلات الاحتلال ، فلن تستقيم الحياة وهؤلاءِ الأبطال الثوار خلف القضبان. عاشت فلسطين حرة بصقورها الأحرار، فلا طعمَ للحرية ولا لون بدون تحرير الأسرى كافة.

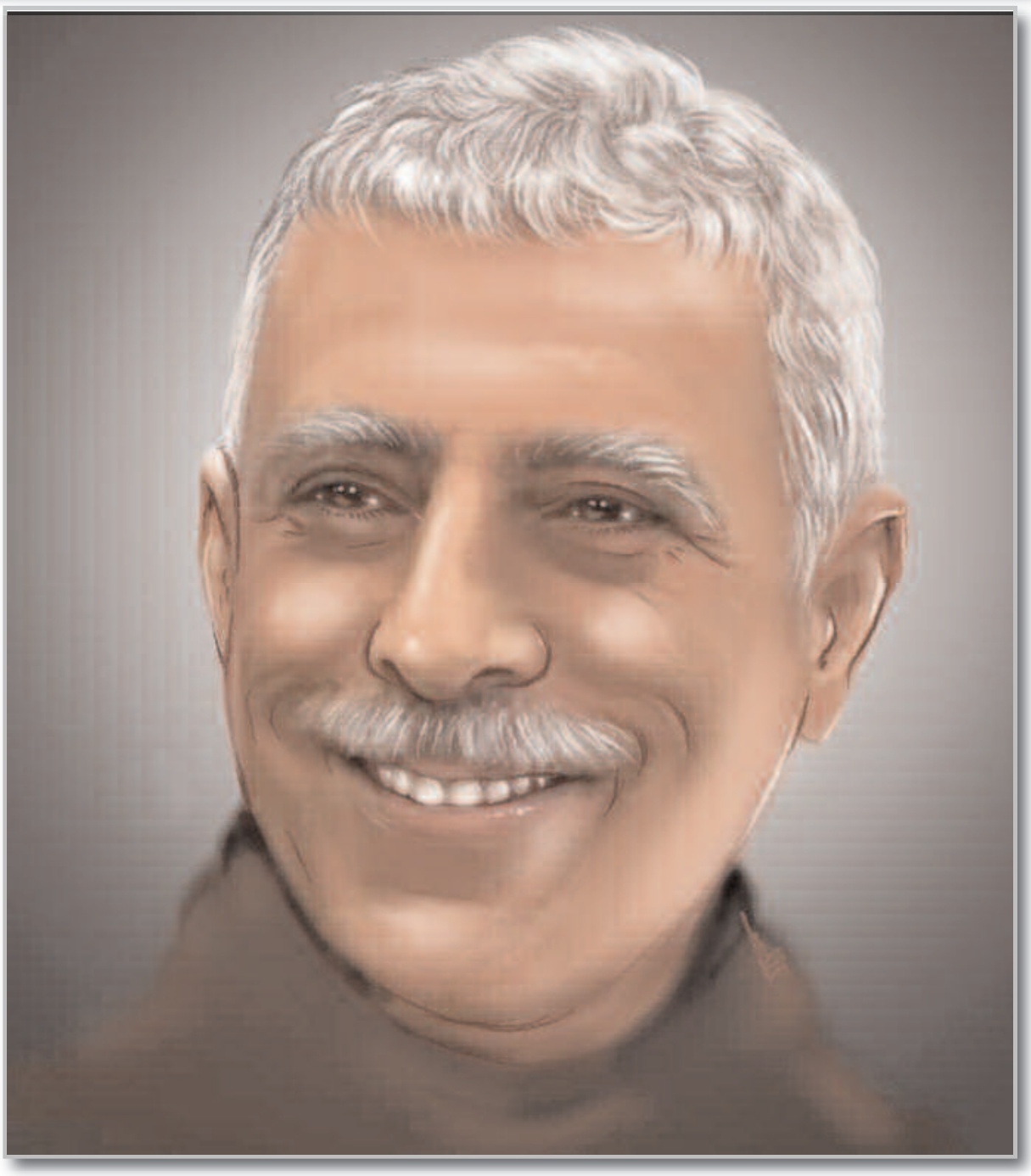

الإفتتاحية

وليد دقة : التلسكوب الفضائي ومِجْهَر الطلائع النُّطفِيّة !

■■ بقلم: لينا أبو بكر

حين تزدحم الأمكنة بالفوضى ، يتسع الفراغ ، و تغيب التفاصيل .. يصبح المرء منطقة عائمة فوق ركام من التيه ، الذي يحول الخواء إلى كتلة ثقيلة وسط هذا الزحام ، ولكن حين يتعلق الأمر بأسير من طراز وليد وقة ، تصبح التفاصيل أكبر من الحيز المغلق ، حتى لو كان بامتداد الربع الخالي ، كالما أنها المجال الحيوي للنعيم ، وهي المادة الخام للخيال الإبداعي الذي يفكك الحياة ،ليعيد تركيبها وبلورتها ،بشكل يثر الانتباه إليها أكثر .وليد دقة هو التلسكوب الفضائي الذي يرى أدق تفاصيل الأجرام السماوية البعيدة ، بعدسة تفوق في إدراكها البصري حجم الفضاء الذي ترصده ، وهذا تحديدا ما يجعل المرصد أكبر استيعابا من الكوكب ، رغم الفارق الكبير في الأحجام والأقطار !

وليد دقة ، يتعامل مع التفاصيل كمجهر مغناطيسي " الكتروني " لا مجهر ضوئي فقط ، ولذلك يتمكن من تشريح الذاكرة بطيوفها وظلالها وامتداداتها في المخيلة ، محتفظا بتفاصيل تفاصيلها ، غير مضطر لاجتزاء جزيئاتها ، لما يتمتع به من إمكانيات القناص الإبداعي ، الذي يطور أدواته مع الدربة والخبرة و الشغف ، مدركا مرتبة الفيقياء " علم ميكانيكا الذرات " .

من يقرأ وليد دقة ، تبهره الحياة التي يعيشها الإنسان خارج الحيز المغلق دون أن يراها ، بينما رآها الأسير في زنزانته الموصدة بالسلاسل والأقفال ، دون أن يعيشها .

هذا المجهر الإبداعي ، المسكون بالتقاط ما لا يمكن التقاطه بالعين المجردة ، لا يقبل بالركون إلى واقع لا يمكنه قبوله ، أو التعايش معه ضمن شروطه و ظروفه القهرية ، ولذلك يفكر قبل أن يتخيل، ويتخيل قبل أن يحلم ، ويحلم لكي يتذكر جيدا ، ثم ينسى لكي لا يخسر متعة الاكتشاف .

هذا التلسكوب ، التقط طليعة نطفية ، في مجهره الرؤيوي ، واحتفظ بها في شرنقة هي القلب ، ثم وبعد اختمار الضوء، تحولت إلى فراشة ، اسمها : " ميلاد " !

لقد أبصر ثم نظر ثم رأى ، ففكر ، و أبدع ، وصور حريته بمجهره الطلائعي ، ليثبت أن الحرية أكبر من الأمكنة ، وأرحب من البراح ، الحرية الحقيقية تتجاوز الجسد ، و تتخطى كوكب الأرض ، حين تغدو حرية تلسكوبية ، تماما على طريقة وليد دقة الذي يرفض " رفاهية اليأس " ، متمسكا بسؤال الانعتاق : " متى ستسافرون " ؟

المواطن elmouatan@Gmail.com

وليد دقة بين سناء الحب وميلاده

الأسرى المنسيون في زمنهم الموازي

■■ بقلم الأسير: حسام زهدي شاهين
سجن نفحة الصحراوي

إن اللحظات التي جمعتني بوليد كانت كثيفة المعنى والدلالة، بحيث يرزح تحت إطاءها العاطفي إحساس مليء بالمشاعر الانسانية، قياساً بالواقع المرير الذي يقتلعنا بين أنيابه الحديدية، لحظات تبدو للوهلة الأولى وكأنها حكاية منفردة خارج سياق أسطورة، وفي وهلة أخرى كأنها سريالية الحياة بتناقضاتها الغريبة، وأحياناً تبدوا كأنها كابوس مرعب.

تعرفت على وليد شخصياً مع بدايات أيلول من العام 2004 في عزل سجن بئر السبع ونحن على وشك الانتهاء من الإضراب المفتوح عن الطعام، الذي استمر لمدة 18 يوماً، وقد جمعنا حوار حاد مع اللجنة التي كان عضواً فيها، تركز حول مخرجات الإضراب وكيفية الخروج منه، وكان في حينها يحمل رأياً لم نستسغه لحداثة تجربتنا الاعتقالية، وإن لم تكن المرة الأولى لمعظمنا بين جدران الأسر، واذكر أنه شدد في حديثه الذي لم يعجبنا وقتها على فكرة أن المعارك الإعتقالية لا يقاس الإنجاز فيها بحجم المكاسب المادية فقط، وإنما هناك مكاسب معنوية بعيدة المدى مرتبطة بمكانة وقوة الحركة الأسيرة أكثر أهمية في بعض الأحيان من إنجاز المطلبي نفسه، فالمعارك التي تشحن الهمم تبقى كفيلة بحماية الإنجازات السابقة إذا لم تنجز شيئاً جديداً، وهذا أول إضراب تخوضه الحركة الأسيرة مجتمعة منذ إضراب عام 1992، فوحدة الحركة الأسيرة بحد ذاتها إنجاز لا يستهان به، ويمثل رعباً حقيقياً لمصلحة السجون وسداً منيعاً أمام مخططاتها، فما هي حكايتي مع وليد؟!

■■ وليد العاشق

يخوض وليد ملحمةً إنسانية من أجل الحرية والحب بشتى الوسائل والإمكانيات، خاضها من أجل الخلوة الشرعية بزوجته سناء ومُنع من ذلك، وخاضها بتهريب نطفة بهدف الإنجاب وعوقب بالعزل الانفرادي جراء ذلك، وها هو يخوضها اليوم من أجل رؤية ابنته ميلاد التي حُرم منها، ميلاد التي شقّت طريقها نحو الحياة بعد عدة محاولات فاشلة من التهريب والزراعة، فوليد يخوض معركته من أجل كل ما هو عادي في حياة البشر بمن فيهم الأسرى والسجناء في كل أنحاء العالم، غير أن القيم الانسانية تختلف إختلافاً جذرياً عندما يتعلق الأمر بالناحية التي يستوطنها "شعب الله المختار" حيث يرى نفسه فوق القيم والأخلاق السائدة بين البشر، ولديه ميزان مختلف لقياس العدالة بين أبناء جلدته وبين الأغيار!!

وفي الكفة الأخرى لحكاية العشق هذه، تقف سناء المرأة الشجاعة والجريئة، فهي تحب وليد بكل ما يكتنزه قلبها من مشاعر إنسانية، سناء إستثمرت أجمل سنوات عمرها في هذا الحب، وهي على حق، فإن لم تفني عمرك في سبيل الحب، فلماذا تفنيه؟! وإن لم تجترح المستحيل من أجل الانتصار للحظة عناق، فما قيمة الحب حينها؟! سناء حاربت من أجل ذلك على مدار عقدين من الزمن دون أن يرف لها جفن سوى بسبب الدموع التي ذرفتها من حرقة الحرمان!!

■■ وليد الأب

على مدار سنوات طويلة وسناء ووليد يحاكيان الحياة، وها هما اليوم يصنعانها بإنجاب ميلاد، ميلاد هي ثمرة الحياة المشتركة التي حلما بها، وهي تحوّل الحب الذي جمعهما إلى كائن ملموس محسوس، ميلاد هي إعلان إنتصارهما وإنتصارنا على كل العقبات التي وضعت في طريق إتحادهما، وهي ميلاد للحرية بصورة غير مألوفة للبشر العاديين، فمع سناء البتول تتجدّد حكاية مريم العذراء، وفي ميلاد الحُب والمحبة تحل نفحةُ من اليسوع.

عرفت ميلاد قبل سنوات طويلة من ميلادها، فكلما حدّثني عنها أو عنه وليد بأبوّة نادرة، كنت أتخيلها كما لو كانت هي اليوم، ومع الأسف منذ أن أبصرت ميلاد النور لم ألتقي بوليد حتى كتابة هذه الكلمات، لأعانقه وأهنئه وجهاً لوجه، ولأتمكن من قراءة أثرها في عينيه وعلى جسده، فميلاد وسناء لهما مع كل أسير حكاية وذكرى جميلة.

■■ وليد المثقف

يمتاز وليد بدرجة ثقافية عالية، ولا أبالغ إن قلت بأنه يقف على رأس كل مثقفي الحركة الأسيرة، وأنا شخصياً تعلمت واستفدت منه الكثير، فوليد تجاوز بثقافته الراقية الحدود السياسية للتنظيمات، وكرس نفسه لتعليم الآخرين منهجية التفكير السليم، وليد يمنحك أدوات التفكير والمعرفة، ولا يفرض عليك رأياً، فتجد نفسك متفقاً معه في نهاية كل نقاش حتى وإن استمرت التباينات بينكما، لأن الآخر هو صمام الأمان للحيلولة دون تضخّم الأنا حتى وجهة نظره المتواضعة التي تُحصن الذات بمناعة الشراكة وإدراك حقوق الآخرين والقيم الجامعة.

■■ وليد المريض

يعاني وليد من عدة أمراض، ويحمل في جعبته صيدلية متنقلة، ومع ذلك لا يمكن أن تشعر بمرضه إلا إذا شاركته نفس الزنزانة، فلديه من الجلد والصبر والقدرة على تقبل الأمر والتعايش معه بروح مرحة ما لم يسبق لي في حياتي أن عايشتها مع مريض، لدرجة يشعرك فيها بأنه متصالح مع هذه الأمراض وكأنها جزء من صداقاته، يعاني وليد ويبكي بصمت القديسين، ويغمرك بمحبة وفرح حتى يحميك من آلامه وأوجاعه، فأيّ المناضلين وليد؟!

■■ وليد المناضل والإنسان

يتمتع هذا الرجل بدرجة عالية من الإنسانية، كما يتمتع بأعمق أشكال الوعي والانتماء لهويته الوطنية والقومية والإنسانية، فهو يرى في الوطنية التي لا تفضي إلى الساحة القومية نفقاً مظلماً يودي صاحبه إلى التهلكة، ويعتقد أن القومية التي لا تتداخل مع عمقها الانساني تصبح سداً يقود عقل صاحبه إلى التعصب والعنصرية، ومع ذلك تخلت عنه الوطنية والقومية والإنسانية لأكثر من 35 عاماً وتجاوزته هو ورفاقه من الداخل المحتل كل صفقات التبادل والحلول السياسية لكونه يحمل الجنسية الإسرائيلية، فهل هناك سريالية أو كابوس أشد فزعاً من ذلك؟!

■■ بقلم : الأسير كميل أبو حنيش
سجن ريمون الصحراوي

نستقبل وليد دقة القادم إلينا من رحلة العزل لمدة شهرين في ساحة سجن جلبوع، وهو الذي لتوّه أكمل عامه الحادي والثلاثين في الأسر، ويدخل عامه الثاني والثلاثين بكل إصرار على الحياة والحرية والفرح متحدياً السجن والسجّان والمرض، متشبثاً بداءه المتأصّل فيه، داء الأمل. أسأله في اليوم التالي ونحن نجلس في ساحة السجن، نرتشف القهوة ونُشعل سجائرنا بشراهة، عن حكاية الزمن الموازي؛ وهو عنوان مسرحيّته التي خطّها وعُرضت لسنوات في مسارح عربية ودولية قبل أن تنتبه وزارة الثقافة في الدولة العبريّة وتشنّ حربها على هذه المسرحية رافضة تمويلها، كونها نتاج "إرهابيّ" فلسطيني متّهم بالقتل، وهذا بالطبع لا يبعث على الدهشة أو يثير الاستغراب، خاصة وأنّ وزيرة الثقافة آنذاك وسيّدة اليمين الفاشي في إسرائيل السيّدة المصون قدسّ الله سرها ميري ريغيف لا يمكنها أن تفهم مضمون هذه المسرحية بأبعادها الانسانية الوجوديّة العميقة، فما بالك هذه الدائرة المغلقة سوى بعض الاحداث الاستثنائية بحيث يغدو الزمن لا قيمة له ولا وزن، تتشابه الأيام وتمضي مسرعة في قطار الزمن المؤبّد، أمّا الزمن الآخر فهو زمن البشر في عالم ما خلف الجدران حيث الحياة الحقيقيّة وبهذا فإن زمن الأسر لا يتلامس مع الزمن في الخارج إلاّ وقت زيارة الأهل والزمن الموازي فكرة استعارها وليد من القرآن الكريم، وهو زمن عالم الجنّ الموازي لعالم الأنس، في عالم الجنّ الغير مرئي لا زمان يشبه زمان البشر، والجنّ يرون البشر ويتسلّلون إلى عالمهم يرقبونهم عن قصد لكن زمنهم لا يشبه زمن البشر ولا يتداخل معه عالم غير مرئي وفنتازي وهذا الزمن الذي قاربه وليد مع عالم الأسر المغلق على تفاصيله وخصوصيّته، وفي هذا العالم الزمن الموازي لزمن عالم الأنس خارج الأسوار يموت الزمن العادي ويصبح الزمن الموازي خاصة للسجن.

ذكّرت وليد بمسرحيّة الباب لغسان كنفاني الذي عالج قضية الزمن لدى أبطال المسرحيّة بعد موتهم حيث وضعهم الإله هبة في مكان أشبه بالبرزخ بين عالمين، عالم الحياة التي عاشوها بين البشر وعالم ما بعد الموت والحساب، وفي هذا المكان الوسط ثمّة زمن آخر مختلف وكانت عقوبة أحد الأبطال أن يقوم كل يوم بحياكة ثوب بينما عقوبة الآخر هي أن يعدّ الغرز في هذا الثوب وفي نهاية اليوم يقوم الحائك بنسل خيوط الثوب الذي حاكه ليقوم في اليوم التالي بإعادة الكرّة هو والبطل الآخر وهكذا بلا نهاية.

حدّثت وليد أيضا عن كتابي الذي لم يصدر بعد وهو بعنوان جدليّة الزمان والمكان في الشعر العربي، حيث انطلقت من أساس زمن الأسر ومن هناك انطلق وليد لمسرحيّته، ولكن درست إذا كان صاحبها فلسطيني وفوق كل ذلك أسير يقبع في أسره المؤبد بتهمة الارهاب.

يشرح لي وليد عن الزمن الموازي؛ وهو ببساطة يصف زمن الأسر بأنّه زمن مختلف وأنّه لا علاقة له بالزمن الفلسطيني ولا بزمن البشر العاديّين، وإنّما يتحدّث عن ساعة زمنية تخصّ الاسير وحده، وإذا شئنا التحديد تخصّ الاسير الفلسطيني في سجون الاحتلال، ففي هذه الأكياس الاسمنتية الغريبة لا يقاس الزمن بالأيام أو السنوات وإنّما بالأحداث الصغيرة أو الكبيرة التي تخص عالم الأسر، وفي هذه اللحظة الزمنيّة في مكان اسمه السجن حياة روتينيّة مليئة بتفاصيلها الدقيقة (العدد، الرياضة، الفورة، القيلولة ،الجلسة ،الكتاب ،الزيارة، نشرة الاخبار الثانية ،محامي، تنقّلات ،أسرى جدد ،أسرى محرّرين، بوسطة إلخ) ولا يكسر الشعر العربي، قديمه وحديثه بما يخص قضية الزمن والمكان واستخرجت عدداً من الأنماط بما فيها الزمان في الأسر الذي قاربه الشعراء العرب، ومن أهمّها الشكل الدائري للزمن وهو الأكثر ملائمة لوصف زمن الأسر، أعود للزمن الموازي لمسرحيّة وليد والتي لم أقرأها بعد، ولكنّي شاهدت فصلاً من فصولها أمامي وفهمت مغزى فكرة وليد عن الزمن. أروي لكم هذا المشهد بعد يومين من قدوم وليد إلينا من قسم خمسة في الجلبوع، حضر عدد من الأسرى القدامى من القسم "4" زيارة لمدة ساعتين للسلام على وليد وأذكر منهم صالح ابو مخ وابراهيم ابو مخ وهما ابنيّ مجموعة وليد مسجونين مثله منذ 31 عاما وماهر يونس وأمضى لحينه 35 عاماً وعلاء البازيان وهو أسير ضرير وأمضى قرابة الثلاثين عاماً قبل أن يتحرر في صفقة شاليط ويعيد الاحتلال اعتقاله وكذلك عدنان مراغة وهو أيضا أمضى قرابة ربع قرن ومن محرّري صفقة شاليط وأعاد الاحتلال اعتقاله قبل ثلاثة سنوات ونجلس جميعا في الساحة، خليط بين الأسرى بعضنا من أمضى ما بين 13 عاماً إلى 15عاماً برفقة مجموعة من الأسرى الذين باتوا يُعرفون بالأسرى القدامى. نستمع إليهم وهم يتحدثون بعفويّة ويخلطون الأزمنة ولا تدري عن أيّ محطة يتحدثون، ولن يذكر أيّ منهما عامًا بعينه، لا معنى للسنوات والشهور والأيام في لغتهم. يروون لبعضهم بعض الأخبار أو الاخباريّات الخاصة بالأسر وبعض الشجارات الخاصة بعالم هلامي في مخيلاتهم عن خارج الجدران، عن الامهات والعائلات والامراض والاطفال الذين كبروا، ولا تدري من أين تبدأ الحكاية ولا كيف تنتهي وفي أي عام حدثت هذه الحكاية؟ وفي أي عام تحدث أحدهم للأخر؟ متى أصيب فلاناً بالمرض؟ ومتى تحرّر علاناً من السجن.

يحدّثنا وليد دقة عن مرضه ويصف لهم بسخرية الطعم اللذيذ لجرعات الكيماوي التي يتلقّاها بين الفينة والأخرى، ويأتي دور صالح أبو مخ بحضوره اللافت ويتحدّث هو الآخر عن حياته و مرض السكر الذي يلازمه منذ أكثر من ربع قرن، بينما يقلب البازيان رأسه محاولاً ملاحقة الأصوات المختلفة محاولاً تحديد هوية صاحبها، وفي هذه اللحظة شرد ذهني إلى عالم الزمن الموازي وراودتني الفكرة وأنا أطل من زمنهم لزمن آخر موازي لعالمهم، وأنا الأسير الذي يكمل لتوه عامه الرابع عشر في الأسر وحولي أسرى شبّان لم يكملوا بضعة أشهر، فهم ينظرون إلينا وهم أيضاً لهم زمنهم الموازي، نحن الأسرى باتت لدينا عوالم وأزمنة توازي بعضها بعضاً ونحن جميعاً في قلب الأسر أزمنة أشبه بحلقات الأشجار، كلّ دائرة تحيط بدائرة أصغر منها . في المساء ينهض الجميع يودّعون بعضهم البعض بشكل اعتيادي، لا مشاعر خاصة، لا في اللقاء ولا بالوداع ولا لحظة زمنية غير مألوفة تؤرخ لهذه اللحظة من عمر الزمن الموازي. يلتقون ثانية في محطة أخرى وفي سجن آخر ولا يعرف أحدهم كم مضى على آخر لقاء ويكتفون بالقول: التقينا ذات نهار ولكن لا يتذكّر أحدهما في أي يوم؟ حتى في أيّة عام حدث ذلك اللقاء! أتذكّر صالح أبو مخ بسخريته الدائمة حينما صرخ بمرح لاحد الشيوخ المتدينين قائلا: "بعد إذنك، إسال الله ثم طالبه؟ وهو سؤال يرسم الاحتجاج على زمنه الموازي ولكن بنكهة السخرية، ولكن الزمن الموازي يكمل دورته بلا مبالاة، إذا شئت التحديد يكمل سيره إلى الامام كون الزمن خط مستقيم لا يعود إلى الوراء ولا يكمل دائرته إلّا بلغة الشعر واستحضر ما قاله محمود درويش، وهو أكثر الشعراء من أرهقهم قضية الزمن:

"فلأرفع معلقتي لينكسر الزمان الدائري
ويولد الوقت الجميل!
ما أكثر الماضي يجيء غدًا"

درويش أرهقه الزمن الدائري، المتنبي أرهقه الزمن المتقلّب، ابن زيدون في مكان يرعى النجوم، وها هو وليد دقة شاعر الزمن الموازي ينتفض نحو زمانه، يُروّضه ويربّي الأمل ساخراً في الحياة ولا يراها.

رفيقي وليد؛ لم يتسن لي الوقت لكي أسالك لماذا يذبل الجسد بينما يتوهّج الفؤاد في زماننا الموازي؟ كيف لهذا الغياب ومتى تحدث معجزة الأديان ونحن نعيش في هذا الضباب!

ظاهرة الكابو ونظام السيطرة في نصوص الأسير وليد دقة

■■ بقلم: عيسى قراقع

■■ مقدمة

سؤال هذه الورقة يتمحور حول اسباب انهيار النظام الاعتقالي المضاد لنظام سلطة سجون الاحتلال الاسرائيلي بعد عام 2000، والارهاصات الخطيرة التي جرت على واقع الاسرى حتى اليوم والمتمثلة بالتفسخ الداخلي والتفكك الذي اصاب جسد الحركة الاسيرة وبنيتها الاجتماعية وتراجع النظم الاعتقالية الجامعة ودور الحركة الوطنية الاسيرة التي كانت من المواقع الرئيسية للحركة الوطنية الفلسطينية والدفاع عن الهوية الوطنية والصمود في وجه الاستعمار الصهيوني.

هذا التفكك في كيان الحركة الاسيرة في مجتمع السجون حول الاسرى من فاعل اجتماعي مقاوم وموحد الى فاعل اجتماعي فرداني ممزق الانسجة والاوصال تسوده الايديولوجية الفئوية والجهوية والفوضى وليس الوطنية السياسية الموحدة.

كيف استطاع نظام الاحتلال واجهزته النجاح بالسيطرة على الاسرى وخلق نظام فصل افقي وعمودي في صفوفهم وتحوير مفاهيمهم وقناعاتهم وتغيير اهتماماتهم واولوياتهم من مجتمع مقاوم، من سلطة ثورية، مدرسة ثورية وتربوية وديمقراطية متميزة تسوده سمات ثقافية وقواعد مسلكية وانظمة وررواية للصمود والبطولة والمقاومة الى واقع يسوده الترهل والتشتت وغياب الوحدة وتفكك البنية الايديولوجية والحياة المشتركة والتضامن الجماعي والانضباط الداخلي؟

هذه الاسئلة موضوع الورقة هي ما احاول ان اجيب عليها من خلال قراءة لنصوص الاسير المناضل وليد دقة ابن باقة الغربية الذي يقضي 34 عاما في سجون الاحتلال، حيث تناول هذا الواقع المرير والمؤلم والصادم الذي اجتاح الحركة الاسيرة منذ منتصف التسعينات وذلك في كتابه الشهير (صهر الوعي او اعادة تعريف التعذيب) وفي مقالة بعنوان (الكابو الفلسطيني واشكالية الاطار المفاهيمي للجان حقوق الانسان)، والتي نشرت على موقع مركز حنظلة للاسرى والمحررين.يعتبر وليد دقة حسب معرفتي اول من تناول بالنقد واقع الاسرى واسباب انهيار النظم الاعتقالية الوحدوية في صفوفهم وسيادة النزعات الفردية والشخصانية والبلدية وتراجع المؤسسة الاعتقالية والروح النضالية الجماعية والثقافية مما اعتبر انقلابا حادا على المفاهيم والعلاقات والنظم التي حكمت مسار وتجربة الحركة الاسيرة منذ البدايات .

ما اورده وليد دقه في نصوصه المكتوبة سمعته من عدد كبير من الاسرى المحررين مما فتح باب الدراسات النقدية وان كانت محدودة تناولت واقع الاسرى المتغير منها : رسالة الماجستير قدمت في جامعة بيرزيت للطالبة نهاية محمود ابو ريان بعنوان (التغيير في البناء الاجتماعي للاسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية بعد عام 2000) ومنها مقال للاسير قتيبة مسلم بعنوان (رجال الكابو المصطلح القديم والجديد) ونشر على موقع دنيا الوطن، منها مقال للاسير حسام شاهين بعنوان (لكي لا تضيع الحقيقة) نشرت في صحيفة القدس، ومنها رسالة الأسير كريم يونس الموجهه الى اللجنة المركزية لحركة فتح المتعلقة بإتفاق ظواهر فاسدة وخطيرة في صفوف الحركة الأسيرة في السنوات الأخيرة.

■■ الأهداف:

وليد دقة في نصوصه النقدية يهدف الى التحذير من المخطط الصهيوني الخطير الذي يستهدف الانسان الاسير، فلم يعد السجن مجرد احتجاز وعقاب ولم يعد التعذيب بالقمع والضرب وتشديد الاجراءات وانما اصبح نظام السيطرة داخل السجون يستهدف العقل والارادة والروح الوطنية للاسرى وتحويلهم الى مجرد اشياء بلا قيمة انسانية ووطنية ليبقى دون الهوية والقيم الوطنية الجامعة ونزع روح الثورة والمقاومة والتحدي التي كانت تمثلها السجون على مدار كافة السنوات السابقة.

وليد يحذر من مخطط صهر الوعي الفلسطيني، وهو نظام الاحتواء واعادة تشكيل وعي الاسرى بحيث يصبح نضالهم التحرري من اجل الوطن والكرامة نضالا من اجل مكتسبات فردية ومادية بعد اغراقهم في الهموم الشخصية واخضاعهم لسياسة التدجين والانصياع.

هذه السياسة يعتبرها وليد من اخطر السياسات التي تواجه الاسرى استراتيجيا لانها تستهدف رموز حركة التحرر الوطني ومكانتهم النضالية والقانونية وبالتالي تستهدف مشروعية النضال الوطني الفلسطيني برمته.

السيطرة على الاسرى وتحوير وعيهم يعني السيطرة على مشروع الحرية والاستقلال الذي يمثله الاسرى ورأس الحربة في مواجهة المحتلين.

السيطرة على الاسرى هو سيطرة على المثال والرمز والنموذج الوطني والقيم العليا والتي تعتبر جزء من مكونات الثقافة والذاكرة الجمعية الفلسطينية.ويربط وليد في نصوصه بين ما يجري على ارض فلسطين من اعادة هندسة الجرافيا واقامة المعازل والكنتونات والجدران وسياسة الفصل العنصري وعزل الناس في تجمعات متنائية بما يجري بداخل السجون، بحيث اصبح السجن مختبرا للسياسة الكولونيالية الاسرائيلية التي تنفذ على الارض الفلسطينية فما يجري في السجون هو انعكاس للسياسة الاسرائيلية الهادفة الى تكريس الابرتهايد ومقايضة الحقوق السياسية والوطنية بمشاريع الرفاهية الاقتصادية.

■■ ظاهرة الكابو مشروع سياسي

الكابو هي التسمية التي كان الالمان يختارونه اثناء الحرب العالمية الثانية من بين سكان الجيتو اليهود ليمثل حلقة الوصل بينهم وبين باقي السكان ، وكثيرا ما كان هؤلاء يتفاوضون مع القوات الالمانية لينقلوا الاخبار واماكن المخابئ السرية وذلك مقابل امتيازات مادية واحيانا مقابل عدم نقلهم الى المحرقة .

واستخدم الالمان اسرى كرجال الكابو في معسكرات الاعتقال لقمع زملائهم من الاسرى وتنفيذ تعليمات ادارة المعسكر، فالكابو يقوم بدور السجان وربما اسوأ من ذلك ، وقد وصف الدكتور فيكتور فرانكل الذي كان سجينا في المعسكرات الالمانية الكابو في كتابه (الانسان يبحث عن معنى) بقوله: رجال الكابو كانوا اشد ضراوة من الحراس في معاملة المسجونين، فكانوا يكيلون لهم الضربات بقسوة مبرحة اكثر مما يفعل رجال ال (س س).

رجال الكابو في سجون الاحتلال كما يقول وليد دقة هم الاداة لتنفيذ نظام السيطرة والمراقبة داخل السجون نيابة عن السجان، وهم اشخاص اصبحوا مسلوبي الارادة، عاجزين، مدجنين، ينفذون تعليمات ادارة السجون، تتنازعهم الدوافع السلطوية والمادية، اصبحوا بلا روح وتحولوا الى كرباج بيد مصلحة السجون، والكابو ليس مجرد افراد وانما هم تعبير عن ظاهرة تستهدف تقويض الوطنية الفلسطينية لدى المعتقلين .ان تقنيات السيطرة الحديثة على الاسرى من خلال نظام الكابو لم تأت من فراغ ، وانما جاءت نتيجة عوامل وارهاصات عديدة مرت بها الحركة الاسيرة ، منها حالة التفسخ والاحباط بين المعتقلين بعد اتفاقية اسلو والانقسام الفلسطيني الفلسطيني ودخول اجيال جديدة في الانتفاضة الثانية الى السجون ذات ثقافات وميول مختلفة لم يستطع نظام الاسرى القديم دمجهم في قوانينه وانظمته مما خلق فجوة في البناء الاجتماعي للحركة الاسيرة في السجون .

■■ نظام الكابو كوسيلة للسيطرة على الاسرى

يستعرض وليد دقة ظاهرة الكابو كوسيلة للسيطرة على الاسرى وانعكاسها على الحياة الداخلة من خلال سياسة فصل او تعميق الفصل بين الاقسام داخل السجن الواحد وعزلها عن بعضها البعض وفقا لتقسيمات واعتبارات جغرافيا ثم تقسيم الاقسام على معازل واقسام جغرافية اصغر(مدينة قرية مخيم بلدة) بحيث تحول التقسيم الجغرافي الى انتماء جغرافي يلغي الانتماء الوطني مما يجعل عملية السيطرة اسهل واكثر شمولا، اضافة الى الغاء العمل بلجنة الحوار او لجنة ممثلي الاسرى واستبدالها بناطقين باسم كل قسم و منطقة جغرافية، ويجري تعيين هذا الناطق من قبل ادارة السجون وبهذا افرغت ادارة السجن التمثيل الاعتقالي من محتواه الوطني بحيث اصبح اقرب الى الكابو منه لممثل اسرى، واعطت ادارة السجن لهذا الممثل صلاحيات عديدة وقدرات على الحركة والتأثير.هذا الفصل المناطقي عززه الفصل السياسي خاصة بعد انقلاب حماس، فصل اسرى فتح عن اسرى حماس، وقد اصبح كل قسم بمثابة سجن مستقل له ناطقه ومطالبه الخاصة غير مرتبط بالاقسام الاخرى ولا تربطه معه أي وحدة، وكل اسير يطرح مطالبه بشكل فردي.هذا الواقع ادى الى انهيار النظام الثقافي والانضباط والقوانين واللوائح الداخلية ولم تعد قابلة للتنفيذ وانعكاسها على قدرة الاسرى على النضال الجماعي، وبروز ظاهرة الاضرابات الفردية بشكل واسع، وكذلك ادى الى تغيير في ايديولوجية الانتماء ليصبح الانتماء الى الذات الفردية او الى الشلة او الى القرية والمدينة والمخيم وليس الانتماء للمصير المشترك للكل الاسير.ظاهرة الكابو اغرقت الاسرى بالهموم الفردية الشخصية وبالرفاهية المتاحة من اموال ومواد غذائية وبيع وتجارة وخلق حالة من التشوه الاجتماعي النفسي للاسرى حيث اصبحوا حريصين على هذه الوفرة المادية على حساب القضايا الوطنية الاساسية بعد ان تحولت الى جوهر حياة الاسرى واهتماماتهم اليومية.

الهدف الاسرائيلي من الكابو كنظام سيطرة هو تحويل نضال الاسرى من نضال وطني تحرري الى نضال معيشي مطلبي فردي، ومن مناضلين من اجل الحرية الى مجرد كائنات تتنازعها دوافع البقاء الغريزية والمادية والتطلعات الفردية.

■■ الكابو في اضراب نيسان 2017

كشف الكابو عن انيابه بشكل واضح وخطير خلال الاضراب الملحمي الذي خاضه الاسرى في 17 نيسان 2017 واستمر 42 يوما بقيادة الاسير مروان البرغوثي، وكان الاضراب يستهدف في جوهره لاعادة الاعتبار لهيبة ودور الحركة الاسيرة وتحطيم نظام السيطرة، نظام الكابو، التدجين وسلب الارادة، اضافة الى اعادة الاعتبار للروح الجماعية والوحدوية والوطنية للحركة الاسيرة.شنت ادارة السجون من خلال رجال الكابو حربا شرسة ضد المضربين لا سابقة لها الى درجة انها دعت الى قتلهم وسحقهم كونها ادركت ان المستهدف من الاضراب هو نظام السيطرة والهيمنة الذي سعت الى تكريسه بشكل مبرمج ومدروس.يقول وليد دقة: ظهر الكابو منتميا كليا لمشروع السجان خلال اضراب نيسان 2017، خادماً طبيعياً ومعرقلا فاعلا لهذا التحرك، ففي هذا الاضراب كشف الكابو القناع عن وجهه من خلال التحريض على الاضراب وتشويه اهدافه، الاعتداء على الاسرى المضربين وارهابهم، واستخدام نفس وسائل ادارة السجون في محاولات اجهاض الاضراب وكسره، كون الاضراب عرى هؤلاء امام شعبهم وكشف حجم تورطهم مع ادارة السجن.

■■ الكابو حرب على الوعي

ظاهرة الكابو في نصوص وليد دقة هي حرب على الوعي وهي محور دراسات استراتيجية اسرائيلية استندت الى نظريات في علم النفس والاجتماع ويقوم بها مراكز ابحاث تابعة للاستخبارات الاسرائيلية، وهدف الحرب على الوعي هو جعل الجماهير الفلسطينية ومنهم الاسرى تتبنى مفهوم الواقع المادي والثقافي المهيمن عليه من الاحتلال، وان الحرية التي ينادي بها الشعب الفلسطيني اصبحت مخيفة تهدد مصالح الكثيرين وتفقدهم وجودهم الذي تأسس من خلال الاحتلال.

الحرب على الوعي يتم من خلال البرمجة والمراقبة والملاحظة العملية للعقل والجسد والغرائز واقناع البشر ان الهدف هو الوصول الى السعادة والرفاهية والمطامح الفردية، وان المال اهم من حق تقرير المصير والحقوق القومية.نظام الكابو حول الاسرى الى مستهلكين مكتفين بما يصل حساباتهم من اموال وبالامتيازات التي حولتهم الى متنمرين ومتسلبطين وذوي نفوذ وقوة يدافعون عن الامر الواقع.نظام الكابو هو سياسة التكييف والتدجين وشطب الشعارات الوطنية ومحوها ورفع شعار الخلاص الفردي بدل الكرامة والحرية والاستقلال والمقاومة.نظام الكابو هو ذلك السجان الغير مرئي الذي استطاع ان يحول الهم الجماعي الى هم فردي، الوطنية صارت سوقا ومصالح ومكتسبات، تحويل الكائن الحي الى سلعة او مجرد شيء وعندما تفتح ابواب المال والنفوذ تضيع الكرامة.نظام الكابو هو سلسلة قيود اقوى من سلاسل الحديد وهي المصلحة والمال وتقييد العقل وشل الارادة المشتركة للاسرى ليكفوا عن كونهم جسماً او كياناً وطنياً اسيرا واحدا وتوجيه ضربة لمجموع المفاهيم والقيم الجامعة.نظام الكابو طبق خطة سياسية موجهة لتفريغ وفردنة الاسرى وتحطيم كل ما من شأنه ان يحولهم الى جماعة عبر التصدي للتفكير او مجرد الاعتقاد بفكرة العمل والنضال او الهوية المشتركة.نظام الكابو مخطط يستهدف تحويل الاسرى انفسهم لحاملي السلطة التي يمارسونها على انفسهم لئلا يفقدوا مصالحهم ونفوذهم.نظام الكابو من اخطرالعقبات في طريق تحقيق التحرر خاصة عندما يمتص الواقع القمعي الضحايا ويعمل على طمس هويتهم وتفريغهم من محتواهم الوطني.

■■ الخلاصة

الأسير وليد دقة في نصوصه حول ظاهرة الكابو في السجون يحذر من انتشار وتوسع هذه الظاهرة لتصبح نهجا ونظاما وقاعدة ويدعو مؤسسات حقوق الانسان تناول هذه الظاهرة كسياسة عقاب وبرمجة وتعذيب واعدام سياسي يتعرض له الاسرى وجزء من الانتهاكات والجرائم التي تمارس بحقهم.ويطالب وليد القوى والتنظيمات والقيادات في السجون الى تدارك مخاطر نظام الكابو كسياسة موجهة وحرب صامتة تجري على حياتهم وعقولهم ومواجهة ذلك باعادة الاعتبار للنضال الجماعي والوحدة الوطنية والقيم الوطنية الجامعة.يقول وليد دقة لا يشبه القمع والتعذيب التي تصفها ادبيات السجون في العالم، ليس هناك حرمان فعلي من الطعام او الدواء، ولن تجدوا من هم محرومون من الشمس ومدفونون تحت الارض، لا يكبل الاسرى كما في الروايات بسلاسل مشدودة بكتل حديدية طول النهار، فلم يعد الجسد الاسير في عصر ما بعد الحداثة هو المستهدف المباشر، انما المستهدف هو الروح والعقل. الأسير وليد دقة يحذر من تحويل السجن الى مؤسسة داخلية للاستفراد بجيل كامل من الشباب الفلسطيني لغرض إعادة هندسته اجتماعياً وتشكيل وعيه وتحويل مجتمع الاعتقال الى مجتمع بدائي وما قبل وطني من أجل الغاء القدرة على مقاومة ارادة المحتل.حسب وليد دقة فإن العدوان على حقوق الأسرى لم يعد مادياً بقدر ما أصبح يستهدف هويتهم النضالية وتجريم نضالهم الوطني ونزع مشروعيته، وانه بات ذلك مخططاً استراتيجياً بهدف تحويل الأسرى الى مستهلكين وخصخصة نضالهم الجماعي وضرب القيم والثقافة الوطنية.

ميلاد: قيدٌ ثم نطفة ثم طفلة ثم حرية محتومة

■■ بقلم: عبد الناصر عوني فروانة

«تهريب النطف" و«زراعة الأنابيب": في البدء كانت فكرة مستغربة تُناقش بخجل وبصوت باهت بين أوساط عدد قليل من الأسرى وزوجاتهم، لتعكس معاناتهم الصامتة ورغبتهم الجامحة في تحدي السجان وتحقيق حلمهم بأن تُنجب نساؤهم أطفالاً لهم، يحملون أسماءهم من بعدهم.

كان هذا أوائل تسعينيات القرن الماضي، وبقيت عالقة في أذهانهم مؤجلة التحقق لحين اتساع دائرة القبول وتوفر الظروف المناسبة وعوامل النجاح، ولم تسقط أبداً من حساباتهم وظلت حاضرة على أجندة طموحاتهم وجدول فعلهم وتجاربهم المتعددة، فحاولوا مرارا إلى أن باتت حقيقةً ملموسةً تسجل النجاح تلو الآخر، لتغدو اليوم ظاهرة آخذة بالاتساع وتحقق المزيد من الانتصارات رغم السجن وحكم المؤبد، وفقاً لشروط وإجراءات تتطابق مع الشريعة الإسلامية.

لقد سجل الأسير الفلسطيني "عمار الزبن" المحكوم بالسجن المؤبد (مدى الحياة)، نجاحا هو الأول في تلك المسيرة، المقرة دوليا والمجازة شرعاً، حينما نجح في تهريب "نطفة" لتُنجب زوجته طفلاً أسماه "مهند" وذلك في 13آب/أغسطس عام2012، لكنه لم يكن النجاح الأخير، حيث تلاه عشرات النجاحات والانتصارات لأسرى فلسطينيين ينتمون لتنظيمات فلسطينية متعددة ويقبعون في سجون متباعدة، وينحدرون من مناطق جغرافية مختلفة، حيث تعددت الأسماء وتنوعت الانتماءات الفكرية والحزبية، ليؤكدوا على أن قضيتهم موحدة ومعركتهم واحدة وحلمهم مشترك وثورتهم من أجل الحياة والوجود ما زالت مستمرة حتى خلف القضبان.لقد عبّرت تلك الظاهرة عن هم إنساني عميق لدى الأسرى، ورغبة جامحة في تحدي السجان ومواجهة سياسة الطمس الإنساني، والتدمير الوجداني، الذي تمارسه سلطات الاحتلال بحقهم. فليس أقسى على الاحتلال من هذا التكاثر الفلسطيني، ومن استمرارية الحياة رغم تشديد الخناق المفروض عليهم. لذا لم يرق لسلطات الاحتلال هذا النجاح، الذي يُنظر له فلسطينياً على أنه انتصار، فأرادت إحباط الفكرة والقضاء على الظاهرة، فاتخذت إجراءات عقابية، فردية وجماعية، بحق الأسرى داخل السجون الذين يلجؤون الى هذا الخيار، كالعزل الانفرادي ومنع زيارة الأهل وفرض غرامات مالية وغيرها، فيما الأخطر اتخاذها إجراءات تعسفية وخطوات عنصرية وغير أخلاقية بحق الزوجات والأطفال المولودين من نطف مهربة لأسرى فلسطينيين والذين تعتبرهم ""أطفال غير شرعيين". ومع ذلك فالتحدي قائم والمعركة مستمرة والانتصارات تتكرر. وخلال العام 2019 سجل (11) أسيراً فلسطينياً نجاحات في هذا الصدد وأنجبت نساؤهم (16) طفلاً، فيما سجل الأسير الفلسطيني "وليد دقة" النجاح الأول له وللحركة الأسيرة خلال العام الجاري2020، وذلك بعد تهريب نطفة إلى زوجته "سناء سلامة" التي أنجبت المولودة "ميلاد" في الثالث من شباط/فبراير الماضي، واستمر الأسرى في تهريب النطف، واستمرت زوجاتهم بالإنجاب ليرتفع عدد الأسرى الذين حققوا نجاحا وسجلوا أسمائهم في تلك المسيرة لتنجب نساؤهم نحو (95) طفلا، وهؤلاء يُطلق عليهم "سفراء الحرية". «ميلاد" هي الطفلة الجديدة التي أُنجبت عبر "النطف المهربة"، لكنها ليست الأخيرة، حيث أدرك الأسرى وبوعي كبير أن الحياة يجب أن تستمر، لذا تراهم يتعالون على قيدهم وألمهم، ويحاولون تناسي ما بهم من وخز القيد وقسوة السجان، ويفكرون دوما بابتداع أسباب للفرح. فتراهم يفكرون ويبدعون من أجل تحقيق الثبات وراحة الضمير، ويناضلون لانتزاع الانتصارات على سجانيهم، ومع كل انتصار جديد يفرحون ويتلقون جرعات جديدة من السعادة. هذا حالهم وتلك هي حياتهم. وتهريب النطف المنوية هي واحدة من المعارك التي خاضها الأسرى وحققوا فيها الانتصار رغم جدران السجن الشاهقة، وعيون السجان الحاقدة، والاجراءات الأمنية المشددة، وكاميرات المراقبة المعقدة.والأسير الفلسطيني "وليد دقة" من باقة الغربية في المناطق المحتلة عام 1948 هو واحد ممن أطلقها وآمن بالفكرة منذ نشأتها وكان مدافعا قويا عنها وأكثرهم جرأة ومحاولة من غيره، وحاول ترجمتها مراراً ودون تردد إلى أن حقق النجاح وانتصر على السجن وقهر السجان وانتزع حقه وحقق حلمه المشروع حينما سجل نجاحا في تهريب "نطفة" لتُنجب زوجته في الثالث من شباط/فبراير الماضي مولودتهما البكر والتي أسموها "ميلاد". هذه الزوجة المناضلة "سناء سلامة" التي ارتبطت به منذ العام 1999، وربطت مصيرها معه، وهي كانت على يقين بأنها ستنتظره طويلاً، دون أن تسمح لهما ادارة السجون الإسرائيلية بالالتقاء أو بالخلوة الزوجية كما ينص عليه القانون الإسرائيلي.ويعد الأسير "وليد دقة" المعتقل منذ الخامس والعشرين من آذار/مارس 1986 ويقضي حكما بالسجن (39) سنة، واحد من الأسرى القدامى المعتقلين منذ ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو الذين رفضت دولة الاحتلال الإفراج عنهم ضمن الافراجات السياسية وصفقات تبادل الأسرى.كما برز الأسير "وليد دقة" كمناضل مثقف وقيادي مؤثر وسياسي بارع وكاتب متميز، ولعله الأبرز من بين مَن كتبوا داخل السجون الإسرائيلية حول الحالة الفلسطينية، وكان الأكثر تميزا في وصفه لحال السجون وواقعها عبر رسائله المهرّبة من خلف القضبان، واصداراته المتعددة، حيث يمتاز بقدرة إبداع فنية وأدبية عالية في رسم حياة الأسرى ويومياتهم خلف الشمس.

ولقد اختير اسم "ميلاد" تحقيقا لرسالة مؤثرة كتبها الأسير "وليد دقة" داخل سجنه عام2011 في الذكرى الخامسة والعشرين لاعتقاله، عبّر فيها عن حلمه بأن يكون أبا وهذا نصها:

أكتب لطفل لم يولد بعد..

أكتب لفكرة أو حلم بات يرهب السجان دون قصد أو علم، وقبل أن يتحقق..

أكتب لأي طفل كان أو طفلة..

أكتب لابني الذي لم يأت إلى الحياة بعد..

أكتب لميلاد المستقبل، فهكذا نريد أن نسميه/ نسميها، وهكذا أريد للمستقبل أن يعرفنا...

عزيزي ميلاد،

اليوم، أنهي عامي الخامس والعشرين في السجن، تسعة آلاف ومئة وواحد وثلاثون يوما وربع (9131)... إنه الرقم الذي لا ينتهي عند حد.. إنه عمري الاعتقالي الذي لم ينته بعد... وها أنا قد بلغت الخمسين، وعمري قد انتصف بين السجن والحياة... والأيام قد قبضت على عنق الأيام.. كل يوم أمضيته في السجن يقلب "شقيقه" الذي أمضيته في الحياة، ككيس يحاول إفراغ ما تبقى به من ذاكرة... فالسجن كالنار يتغذى على حطام الذاكرة.. وذاكرتي، يا مهجة القلب، غدت هشيما وجف عودها... أهرّبها مدونة على ورق حتى لا تحترق بنار السجن والنسيان.. أما أنت، فأنت أجمل تهريب لذاكرتي... أنت رسالتي للمستقبل بعد أن امتصت الشهور رحيق أخوتها الشهور... والسنين تناصفت مع أخواتها السنين.

أتحسبني يا عزيزي قد جننت؟؟

أكتب مخلوق لم يولد بعد؟

أيهما الجنون.. دولة نووية تحارب طفلا لم يولد بعد فتحسبه خطرا أمنيا، ويغدو حاضرا في تقاريرها الاستخبارية ومرافعاتها القضائية.. أم أن أحلم بطفل؟

أيهما الجنون.. أن أكتب رسالة لحلم أم أن يصبح الحلم ملفا في المخابرات؟

أنت يا عزيزي تملك الآن ملفا أمنيا في أرشيف الشاباك الإسرائيلي... فما رأيك؟

هل أكف عن حلمي؟

سأظل أحلم رغم مرارة الواقع...

وسأبحث عن معنى للحياة رغم ما فقدته منها...

هم ينبشون قبور الأجداد بحثاً عن أصالة موهومة...

ونحن نبحث عن مستقبل أفضل للأحفاد... لا شك آت...

سلام ميلاد... سلام عزيزي...

ومنا لك أيها المناضل ولسناء الزوجة وميلاد الطفلة مليون سلام وسلام

الصمت عار، وهم عُشاق النهار

■■ بقلم : حسن عبادي

التقيت يوم 12 حزيران 2019 في سجن "هداريم" بالأسير باسم خندقجي؛ حدّثني على تعرّفه، عن كثب، على الجناح الآخر للوطن: كريم يونس، وليد دقّة، باسل غطاس وغيرهم، والعلاقة الخاصّة التي تربطه بوليد، وعن "ميلاد" الموعود ووعدته أن نرفع نخب "ميلاد" قبالة بحر حيفا، وميلاده حتمًا سيكون فأل خير على الحركة الأسيرة، من طرفي وفيت بوعدي، ودوّنت وعدي على صفحتي وكان عنوان صحيفة "المدينة" الحيفاويّة بعد اللقاء: "كاسك يا ميلاد، ترقّبوا التفاصيل حصريًا في عدد قادم" وأرفقها الإعلامي رشاد عمري بصورة لوليد ورواية "حكاية سرّ الزيت". يعني اللّي مش فاهم يفهم!

التقيت الأسير وليد دقّة صباح الأربعاء 10 تموز 2019 في سجن "هداريم"؛ وكنت قد تعرّفت إليه عبر كتاباته، وشاركت في أمسية نظّمها التجمّع الوطني الديمقراطي في حيفا يوم السبت 10 تشرين الثاني 2018 لإشهار كتابه "حكاية سرّ الزيت". أطلّ مبتسمًا ساعة انتهائي من لقاء رفيقه كريم يونس، وكان ملتحيًا، فسألته سرّ تطويلها فأجابني أنّهم نقلوه إلى زنزانة في معسكر مجيدو بدون مرآة فلم يحلق فترة طويلة وحين نقلوه إلى سجن آخر "أنقذته" تلك اللحية، وهذه حكاية أخرى. تحدّثنا عن لقائي بالأسير باسم خندقجي ووعدي له أن نرفع نخب "ميلاد" الموعود قبالة بحر حيفا، ووفيت به، مع "لا ريوخا" ولوركا. تحدّثنا عن جود وأبو ناب والضبع، عن كثرة الضباع في أيّامنا، عن التهجير والعودة المشتهاة، فالحاجة فريدة ما زالت تحلم بعودتها إلى قاقون والحوارث، عن الحريّة التي ستتحقّق بهمّة جود ورفاقه، حكاية الزيت والسيف، سلاح المعرفة والعلم "المستقبل هو أحقّ أسير بالتحرير".تناولنا "الزمن الموازي"، صهر الوعي والمحاولات المستميتة لاستهداف معنويّات الأسير في السجون عبر إعادة صياغة عقله وفق رؤية إسرائيليّة، فباتت السجون بمثابة مؤسّسات ضخمة لطحن وعي جيل فلسطيني بكامله، إنّها أضخم مؤسّسة عرفها التاريخ لإعادة صهر الوعي لجيل من المناضلين. تناولنا رسوماته، كاريكاتيراته والكوميكس للكبار بالعربيّة ومشروع "نول للكتابة"، وعن الأثر الذي تركته فيه تعقيبات مجد كيال، خلدون محمد ود. خالد عنبتاوي وغيرهم كُثر. حدّثني عن ألمه وحسرته لاحتجاز السلطات حوالي ثلاثمائة جثّة فلسطينيّة ومنها جثمان الشهيد فارس بارود الذي توفّي خلال فترة سجنه وما زالت جثّته محتجَزة وتساءل فارس محدّقًا بوجه سجّانه باستهجان: "هل ستحتفظ سلطة السجون بجثّتي حتّى تنتهي فترة محكوميّتي لتحريرها؟؟" ونحن صامتون صمت القبور... مضت ساعتان بلمح البرق وما زلنا في بداية حديثنا، وللقصّة شرح يطول. كان من الطبيعي أن أعنون تغريدتي حول اللقاء: "عذرًا أيّها الفارس، خذلناك!!!". هذا هو وليد الذي التقيته؛ صاحب رؤية ورؤيا. نتاج ذلك اللقاء بدأت مشروعي "لكلّ أسير كتاب" وبادرت بمشروع إيصال إصدارات كتّابنا لأسرانا وحطّت ترحالها عبر القضبان مئات الكتب ليقرأها أسرانا. تعرّفت في السنة الأخيرة على الأسير المحرر/ خالد صالح "عز الدين" الذي يحمل ملف أسرانا ويجوب به العالم، بدأنا التواصل شبه اليوميّ عبر صفحة "صوت الأسير" التي يديرها، باتت منبرًا حرًا وصوتًا عاليًا لأسرانا الذين رأوا فيها بيتًا لهم، وتولّدت فكرة الملف الشهري لأسير تُسلّط من خلالها الأضواء عليه حصريًا، وكانت البداية بملف يخص عميد الأسرى كريم يونس، نائل البرغوثي، كمال أبو وعر وماهر يونس. لاقى الملف أصداءً كبيرة عبر القضبان ومن خلفها تولّدت فكرة ملف خاص بوليد دقّة. يعمل خالد جاهدًا على نشر الملف بالصحافة المكتوبة في العالم العربي، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، وملف وليد يصدر تزامنًا في صحيفة "المدينة" الحيفاويّة وحبّذا تشارك رام الله في نشره وتعميمه. التضامن مع أسرانا الأحرار أقلّ الواجب وطنيًا، هم وجهنا الحضاري وأيقونة النضال من أجل الحريّة والحياة الكريمة على أرض الوطن، كلّ تضامن معهم يمدّهم بالقوة والأمل ويشكّل شوكة في حلق العدو الغاشم. فقضيّة أسرانا قضيّة إنسانيّة بالدرجة الأولى، بعيدًا عن الأسطرة، ولِدوا ليكونوا أحرارًا، شمس الحريّة تليق بهم وتتوق لعناقهم. شكرًا صديقي خالد، شكرًا للصديق "محمد كيتوس" وصحيفة المواطن الجزائريّة التي كانت الرائدة في دعم هذا المشروع وإخراجه إلى النور، شكرًا لكلّ من شارك في هذا الملف، الحريّة لوليد وكافّة رفاق دربه. لا سكوت بعد اليوم.

صمتُنا عارُنا.

من الجدير بالذكر أن هذا الملف يُنشر تزامنًا في الصحافة الجزائريّة وصحيفة "المدينة" الحيفاويّة.

المواطن

يومية إخبارية وطنية تصدر عن الشركة ذات المسؤولية المحدودة
نورث أفريكا نيوز كومباني
رأسمالها: 100.000 دج
الحساب البنكي رقم: 117500 24 107 400
السجل التجاري رقم: 0011894
المقر الرئيسي:
24 شارع خليفي محمد – حسين داي الجزائر

مدير النشر
محمد كيتوس
التحرير
الهاتف: 07 65 77 023
الفاكس: 07 65 77 023
الإشهار: 06 65 77 023
الموزع الصوتي:24 69 77 023

الإشهار
المؤسسة الوطنية للإشهار
الهاتف 28 71 73 021
وكالة الجزائر شارع باستور
الهاتف 78 76 73 021
43 30 73 021
الفاكس: 59 96 73 021

الطبع
SIA
التوزيع
شرق - وسط - غرب

ملاحظة
المقالات والوثائق التي تصل الجريدة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

الذي يقدّم القيمة الحياتيّة الأسمى للوطن يستأهل الأكثر !

■■ بقلم: سعيد نفّاع - أسير سياسي محرّر
الأمين العام للاتّحاد العام للأدباء الفلسطينيّين - الكرمل 48

لا أعتقد أنّ هنالك نقاشًا حول أنّ أغلى قيمتين لدى الفرد هما؛ الحياة والحريّة. قيمتان تصعب المفاضلة بينهما موضوعيًا والأمر يعود للفرد الذي يضع هاتين القيمتين مهرًا للوطن، فهو الوحيد القادر أن يفاضل بينهما؛ أيّهما الأعلى درجة من الثانية. ولكنّنا نستطيع أن نقرّر، وإن كانت الحياة وعلى الغالب هي الأعلى من الحريّة لدى البشر، أنّ الأسير المقدّم الحريّة حينما كان انطلق كان يعرف أنّ حياته وحريّته سيّان والاثنتان محمولتان على راحتيه.

كلّ مقاوم للصهيونيّة في بلادنا ومهما اختلفت أوجه مقاومته، عرضة لأن يفقد إحدى هاتين القيمتين، ولكنْ حقيقة هي أنّي لم أتخيّل يوم زرت وليد دقّة في سجنه من موقعي كمحام وكبرلماني، أنّ يومًا سيجيء وأكون أسيرًا نزيلًا في نفس السجن – الجلبوع. حين تمّ التوجّه إليّ لكتابة شيء عن وليد دقّة رحّبت وليس فقط من الخاصيّة أعلاه وإنّما لما يستأهله هؤلاء الناس، ووجدتني أعود إلى دفاتري القديمة فوجدت الآتي وأقتبسه بقليل من التصرّف "التقني":

«الأسير دقّة للنائب سعيد نفاع: الحركة الوطنية بيتٌ يجب الحفاظ عليه بكل السبل. زار هذا الاسبوع (الأخير من تموز 2008م) النائب سعيد نفاع، في سجن الجلبوع– مرج بن عامر، الأسير وليد دقّة والمحكوم مدى الحياة قضى منها حتى الآن فترة محكوميّة ل–23 سنة.دام اللقاء زهاء ال–3 ساعات طُرحت فيه مجمل القضايا التي تخص الأسرى والقضايا العامة؛ الوطنية والسياسيّة التي تخص المنطقة بشكل عام والساحة الفلسطينية بشكل خاص، وقد عبّر وليد بالأساس عن قلقه على الفرقة القائمة على الساحة الفلسطينية، متمنيًا على الإخوة ايجاد السبل لإعادة اللحمة فهي الكفيل الوحيد بإحقاق الحقوق الثابتة. وتركز اللقاء حول قضايا عرب البلاد، الذي بدا أن الأسرى يحملون همومهم أكثر من همومهم الخاصة في الأسر وهموم أسرهم وعوائلهم.وأكثر ما كان يقلق الأسير وضع الحركة الوطنيّة في الداخل، التي أراد بالأساس الاطمئنان عليها وعلى أحوالها وثبات وجودها كضرورة موضوعيّة للحفاظ على هوية عرب الداخل، أمام الهجمات العنصرية الدائمة والتي تلبس في الفترة الأخيرة اللبوس التشريعي في القوانين التي تسنها الكنيست. وفي هذا السياق تم التأكيد على الرابط العضوي بين الهوية والحفاظ عليها والحقوق اليوميّة التي يجب أن تصان، معبّرًا عنها بالقول: "أن الحركة الوطنية يجب أن تحمل هموم أهلها مثلما حملها أهلها."

وقد حمّل الأسير النائب نفاع رسالة لكل القوى الوطنيّة معبّرًا عن أمله في أن تجد هذه القوى الطريق إلى الوحدة لما في ذلك من تقوية للصفوف على ضوء الوضع الفلسطيني والعربي العام، والتحديات التي تواجه عرب البلاد في الحفاظ على وجودهم وهويّتهم.

هذا وقد شكا الأسير من منع سلطات السجن إدخال الصحف الوطنيّة، نتيجة توجه منهجي لمنعهم من رؤية الوجه الآخر للحاصل على الساحة الفلسطينيّة الداخليّة، ووعد النائب نفاع بالعمل على حل هذه الإشكالية من منطلق عدالتها وحق الأسرى بالتزود بالمعلومات.كذلك تم طرح قضية الالتماس الذي تقدم به الأسير وليد دقة بواسطة "عدالة"، لتمكينه من تحقيق حقه الإنساني في تكوين أسرة وهو المتزوج منذ سنوات، والممنوع من ذلك على خلاف سجناء يهود كقاتل رئيس الحكومة رابين يغئال عمير، وعامي بوبر الذي قتل سبعة عمال فلسطينيين."هذه الأخيرة، الحقّ الإنسانيّ في تكوين أسرة، كانت معركة من معارك وليد ونعرف اليوم أنّ وليد استطاع ورغم أنف السجّان أن يمنح الدنيا مع السيّدة المناضلة سناء سلامة، وليدة أسمياها: ميلاد، تؤنس وحشة لياليه في السجن الأضيق وتؤنس أيّام قرينته في السجن الأوسع.وجدتني أجد بين أوراقي القديمة تلك شركاء وليد؛ مروان، وصدقي، وغسّان، وسرحان، وعبد الحميد، وسيطان، وأحمد، وربيع، وصبري، وصلاح، وأمير، ويوسف، وعطا، وماجد، وفداء، وبشر. كلّ اسم من هؤلاء يمكن أن يحمله عشرات آخرين من الأسرى، والملفت أنّ المشترك بين هؤلاء الشركاء ليس فقط الأسر وظروفه والقاووش والزنزانة، المشترك هو حملهم الهمّ الوطنيّ العام فوق وقبل همّهم من الأسر وفي الأسر. وحين تُراجِع أطروحاتهم ترى ذلك المشترك الذي تستطيع أن تنسبه لأيّ منهم وغيرهم، فتجد قائلًا منهم:

«الأسرى في السجون الإسرائيلية بشكل عام، والتي شهدت في السنوات الأخيرة وتحديدا منذ سنة 2003 تصعيدا تمثل في التراجع الخطير في شتى نواحي الحياة الإنسانية، يعانون العزل الانفرادي الغير انساني ولسنوات طويلة ما زال يطال 17 أسيرًا منهم الأسيرة السيدة آمنة منى، بظروف تمس أبسط الحقوق الإنسانية. ويعانون من منع الزيارات الكليّة عن المئات منهم بحجج أمنيّة دون أي تفسير، بلغت حد منع الأمهات حتى المتقدمات في العمر عن رؤية أبنائهن كون الأمر خطرًا (!) أمنيا. ويعانون من العلاج الطبي السطحي والانتظار أشهرا لتستّي الفحوصات الطبيّة الأساسية. ويشير الأسير المتحدّث إلى أن السنة الأخيرة شهدت أربع حالات وفاة لأسباب مرضية تعود إلى تأخير إجراءات الفحوصات المطلوبة. ويعاني الأسرى من التفتيش الليلي الاستفزازي والذي يشمل تعرية الأسرى لأتفه الأسباب، ويعانون من العديد من الممارسات الأخرى الماسّة بأبسط الحقوق الإنسانية.". وتجد آخر يقول: "قضية الأسرى لم توضع في الإطار السياسي، والأسرى في السجون الانفراديّة والتي تجيء عمليا كإجراء "فوق عقوبيّ" إذ أنّ السجناء حكموا عمليا وبغض النظر عن موقفهم من المحاكمات ويعاقبوا عقوبات إضافيّة في سجنهم انفراديا وحرمانهم من رؤية عائلاتهم لكسر معنوياتهم." ويتابع: " إن إقامة دولة فلسطينيّة لا ينهي الصراع وحل الدولتين في سياق نزاع على كل شيء ليس واقعيا خصوصًا وأنه أُثبت أن كل الطروحات غير قابلة للتطبيق ولذا تجب العودة إلى الدولة الواحدة الديموقراطيّة والمدخل الشرعيّة الدوليّة من خلال حوار حضاري في صلبه الامم المتحدة، فالدول ومنها أميركا لا يمكن المراهنة عليها."

ها هم أسرانا، حملوا الهمّ العام في شبابهم وانطلقوا حاملين على الراحات كُرْمى للوطن ومهرًا له، أعزّ وأغلى القيم عند الإنسان؛ الحياة والحريّة. وما زالوا يحملون الهمّ الوطنيّ العام فوق همومهم الخاصّة الطبيعيّة والكثيرة، يطلقونه صائغين إيّاه في كلمات وراءها الإرادة والرغبة في الاطمئنان على أن تضحياتهم لم تذهب هدرًا.

ورغم ذلك تجد في أوراقك أيضًا سماعك صرخة أهل على أبواب السجون: "أبناؤنا منسيّون "!

هؤلاء الأبطال؛ وليد وزملاؤه، يحملون الجوع والمرض والعذاب والتنكيل والحرمان والزنازين ويتحمّلون، ولكنّ مثلهم لا يمكن ولا يجب أن يتحمّل النسيان، وما علينا نحن وفي كلّ مكان إلّا أن نعمل ألّا يساورهم شكّ أنّهم أبناء منسيّون، وهذا أقلّ ما يستأهلون متّا وإلّا فلا نستأهلهم ولا نستأهل ما ضحوا في سبيله، الوطن!

وليد دقة وسناء سلامة

إيزيس وأوزوريس مُجدداً

■■ بقلم: دعاء الجيوسي

مُنذ أن تطور وعي البشر وباتوا يتمايزون بالخير والشر بفضائل السلوك ورذائلها ضاقوا ذرعاً بموبقات (سِت) فما من دَنية إلا وقاربها ، وما من نقيصة إلا وإقترفها أشعل فتناً وحروباً تلاعب بأقوات الناس وأرزاقهم قاطعوه فما زاده ذلك إلا غياً ، نبذوه إلى العراء فتوحش وهام على وجهه مع سوائب المُفترسين في مجاهل الدنيا واصل إنحداره تجرد من آدميته ثم تحلل من روح القطيع التي تحكم سوائب الوحش فلم تعد تحتمله أرضٌ ولا تطيق فعاله سماء.

تداعى دهاة البشر وحسموا أمرهم لا مكان لِ (سِتْ) هنا ألقوه بعيداً إلى أرض ما وراء البحر وهناك إما أن يعتاش بجرائمه أو يجهزوا عليه وفي كلتا الحالتين مكسبٌ لنا.

قَيَدوا (ست) إلى ظهر سفينة قذفوه على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط وأداروا ظهورهم.

في يومه الأول على أرضنا شرب دماً حتى إرتوى ثم جادت عقيرته بالغناء بصوت وحشي كله نشاز كان يغني لتفوقه العرقي ولأحلامه القديمة وإختلق رواية غير منطقية عن وعود وحقوق ومواريث على أرض لم تطأها قدماه إلا حديثاً...

على ظهر الأرض المُبتلاة بلعنة(ست) ولد شاب من رحم عاصفة ليلية فأسموه وليد، ذرع البلاد طولاً وعرضاً يُقاتل الوحش القادم من بلاد الظلام والثلج قاتلت معه الحجارة حبات الرمل أغصان الشجر وأوراقها صَمَد ما أمكنه ذلك غيّر مكانه ألف مرة في اليوم، صعد جبال الخليل إنحدر إلى غزة وإنتظم في مجموعات محمد الأسود سافر سراً للأردن وفي غورها إلتحق بطبيب يُقال له وديع حداد قاتل إلى جانبه طار إلى لبنان ثم سوريا واليمن و لأن أهل الأرض حاذقون في حسهم الأمني أخفوا إسمه عن (ست) إختاروا له كُنية أوزوريس إسما حركياً وتحت هذا الإسم عاش وتنقل في البلاد بإنسياب نسائم صيفية.

أواخر مارس عام ألف وتسعمائة وست وثمانون كان الربيع يحبو على ظهر الأرض طفلاً غضاً يُغري ببرائته تخلى أوزوريس عن بعض حذره خلع بزته العسكرية وقرر أن يزور مسقط رأسه باقة الغربية وبالفعل دخلها ليلة الخامس والعشرين من الشهر المذكور بإسمه الأول وليد دقة، على بوابة القرية كان(سِت) ومن أنجب في الإنتظار وعلى غفلة منه أمسكوا به وركضوا يعوون إلى المجهول.

أخذوا وليد– أوزوريس عصره قطعوه إربا وفي كل سجن ألقوا قطعة نثروا أشلائه من السبع مروراً بنفحة ومجدو حتى التلموند والشارون ، حدث كل ذلك وإيزيس تُمسد شعرها تُحصي نجوم البلاد وصخورها حتى أتاها طارق ذات ليلة صرخ في وجهها : سناء يا إيزيس قومي فالخطب عظيم ، إن الأرض لبست من أحزانها سوادا أدركي أوزوريس جرة زيت في يدك وطيري إلي حيث تقبع بعض أشلائه في بئر عسقلان.

لم تُكذِّب إيزيس خبراً تناولت إبريق زيت وطارت إلى حيث دلها طارق الليل كانت فوهة البئر مُغلقة وبابه موصداً إحتالت حتى إنسلت من ثقب ضيق ووصلت قلب أوزوريس إحتضنته وغادرت ثم كررت التجربة من كل سجن وبئر من كل مجهول وقبو إستخلصت قطعة من جسد حبيبها المُمزق جمعت بعضه إلى بعض مسحته بدمعة زيت شدت جروحه بأهدابها وصَلَّت كثيراً حتى دبت فيه الروح أمسكت يده وسارا معاً حتى أطراف الجليل وفي اليوم التالي عادت إيزيس بحورس فتاة ملائكية على يدها وغادر أوزوريس إلى فوهة البئر من جديد و عندما تداعى قوم من أطراف البلاد وسألوا ماذا حدث ؟ قال أوزوريس ورددت خلفه إيزيس ومعهم كل الآبار والأقبية هذه حورس ميلاد المُعجزة بنت أوزوريس الذي لا يموت وإيزيس صانعة الحياة.

ميلاد، والزمن الموازي

■■ بقلم: سميح محسن

«اليوم حطّمت ميلاد جدران السجن وحرّرت والدها من قيده مبشّرةً بميلاد الحرية، ميلاد التحدي. اليوم جاءت ميلاد إلى الدنيا في مدينة البشارة– الناصرة لتكون ميلادا للبشارة، حاملة نور المحبة والسلام».

■■ سناء سلامة دقة، زوجة الأسير الفلسطيني وليد دقة

في صباح يوم الاثنين الموافق الثالث من شباط/فبراير 2020، أنجبت سناء سلامة، زوجة الأسير الفلسطيني وليد دقة، طفلتهما الأولى "ميلاد" في مدينة البشارة التي منها بشّرت زوجها، وأبناء شعبها الفلسطيني بولادتها، والتي نتمنى أن يكون للطفلة ميلاد أخٌ، أو أختٌ أخرى في ظروف طبيعية وإنسانية في قادم الأيام.

إنّه العناد الفلسطيني المبني على ثبات الإيمان القاطع بالحق، والتأكيد الذي لم، ولن ينقطع بأنّ الفلسطيني يمتلك قدرة عجيبة على التجدد، وأنّ عشقه للحياة يغلب على رغبته بالموت، كما يدعي المُدَّعون، وإلا لما قدّم أبناؤه، والشرفاء من أبناء أمته أرواحهم على مذبح الطريق إلى حريته، والانعتاق من الاحتلال الغاشم.

■■ بداية الحكاية

في العام 1996، زارت الصحفية سناء سلامة الأسير وليد دقة في سجنه لإعداد تقرير لصحيفة (الصنّار) التي تصدر في مدينة يافا، والتي يسميها الفلسطينيون (عروس البحر)، عن حياة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، ومعاناتهم اليومية. في تلك الزيارة سألته عن أيّ مساعدة بإمكانها أن تقدمها له، فطلب منها تأمين أحد الكتب، ففعلت، وتكررت زيارتها له فيما بعد. تقول سناء في إحدى مقابلاتها الصحفية عن تطور العلاقة بينهما: "بعد زيارتي الأولى لوليد بأعوام قال لي بأنه في تلك الزيارة كان قد عرف وقرّر بأنني الإنسانة التي يريدها أن تشاركه حياته".

أيّ حياة تشاركية هذه التي ستكون بين إنسان لا يعلم متى سيخرج من سجنه، وينعتق من بين أنياب زنزانته، وبين إنسانة حرّة طليقة؟! لم يواجه وليد، ولا سناء هذا السؤال، وكأنّه لا يعني أيا منهما.

كان زواجهما أغرب زواج في التاريخ البشري، هكذا وصفه كثيرون. لقد طلبا من إدارة السجون السماح لهما بعقد قرانهما بحضور عدد من أفراد عائلتيهما واثنين وعشرين أسيراً من أقرب أصدقائه، وإقامة طقوس عرس من موسيقى وغناء وتصوير داخل سجنه، إلا أن إدارة السجون رفضت ذلك في البداية، وعادت ووافقت على طلبهما، ولكنها لم تسمح إلا لتسعة أسرى بحضوره، وكان عرسٌ فلسطيني في سجن "إسرائيلي"؛ كما لم تسمح لهما باللقاء منفردين حتى كتابة هذه السطور. كان العرس في العاشر من آب/أغسطس عام 1999. لقد شكّل عقد القران هذا داخل السجن سابقة في تاريخ الحركة الأسيرة كلها. ومنذ ذلك التاريخ تصرّ سناء على انتظار وليد، حتى لنهاية العمر، ويصر وليد على أن يكون أباً لطفل/ة من سناء.

■■ ميلاد، والزمن الموازي

في مسرحية "الزمن الموازي" التي أنتجها مسرح "الميدان" في مدينة حيفا، والتي أُقتبِست من رسالة بعث بها الأسير وليد دقة للدكتور عزمي بشارة، ونشرت عام 2005، وتحدث فيها عن الزمن الموازي في زنازين الاحتلال الإسرائيلي بمناسبة مرور عشرين عاماً على أسره آنذاك، لا يفارق وديع "بطل المسرحية" إصراره على إنجاب طفل اسمه "ميلاد"، واستطاع وليد دقة أن يحول هذا الحلم/الإصرار إلى حقيقة عندما نجح في تهريب نطفة منه وزرعها في أحشاء زوجته سناء سلامة التي أنجبت "ميلاد" طفلةً حقيقيةً، وليس "ميلاد" الطفل الافتراضي في المسرحية.

تحكي المسرحية قصة أسير سياسي يخطط بالسرّ مع مجموعة من رفاقه لبناء آلة عود والاحتفال بزواجه من حبيبته، فيحاول بطل المسرحية البحث في معنى أن تكون أسيرًا سجينًا، وتتركز عملية البحث هذه في محاولة إكتشاف الإنسان داخل الأسير في أبعاد الإنسانية المختلفة، بعيداً عن نمطية الصفات التي أقرناها بهم، كالبطولة، والفداء، والتضحية والصمود في وجه الجلاد. ورغم إيجابية هذه الصفات، إلا أنّ الأسير إنسان أولاً وأخيراً، له أحلامه الخاصة، وآماله وأمانيه الفردية، أفراحه وأحزانه، وأحلامه التي لا تنقطع ولو في حدود التخيّل بأنّه يشرب فنجان قهوة على شرفة منزل يطل على البحر، أو تحت شجرة زيتون بعد أن قطف بعض ثمارها.

اقترن اسم الأسير وليد دقة بالمسرحية المستوحاة من تجربته في الأسر، والتي لم يكتبها بنفسه، وإن اتهمته سلطات الاحتلال بذلك، وفرضت عقوبات عليه، وعلى مسرح "الميدان" الذي أنتج المسرحية، وعرضها في البداية على خشبته قبل أن يعرضها في أماكن أخرى. لقد تعرضت المسرحية، وكذلك الأسير وليد دقة الذي تتهمه سلطات الاحتلال بالاشتراك في خطف جندي وقتله، لتجدد التحريض عليه من قبل اليمين "الإسرائيلي" الفاشي، على خلفية إنتاج، وعرض المسرحية.

■■ الإصرار الفلسطيني

ولد الأسير وليد دقة في اليوم الأول من / كانون الثاني/ يناير من العام 1961 في مدينة باقة الغربية داخل فلسطين المحتلة عام 1948، وتعلّم في مدارس المدينة، وأنهى دراسته الثانوية فيها، إلا أنّه ذهب لميدان العمل في إحدى محطات بيع المحروقات. وفي الخامس والعشرين من آذار/ مارس 1986، اعتُقِل برفقة مجموعة من الأسرى، وهم: إبراهيم ورشدي أبو مخ، وإبراهيم بيادسة، وجرى اتهامهم باختطاف الجندي "موشي تمام" وقتله من مدينة "نتانيا" في أوائل عام 1985، وحكم عليهم بالسجن المؤبد مدى الحياة، وهو يعتبر اليوم أحد عمداء الأسرى داخل سجون الاحتلال، وأحد مفكري الحركة الأسيرة، وحكمائها.

لم يستكن الأسير دقة لعادات السجن، ولم يتعامل معه كقدرٍ تنقطع معه حبال الأمل، والأحلام والتجدد وإن كان داخل زنزانة لا تتسع أحياناً إلا لإنسان صُمِّمَت على مساحة جسده. ففي سجنه، عكف على تنمية ثقافته الثورية، وأكمل تعليمه الجامعي إلى أن حصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية، حتى غدا من أبرز مفكري الحركة الأسيرة، وقادتها، حيث شارك وقاد الكثير من المعارك النضالية التي خاضتها الحركة الأسيرة دفاعاً عن منجزاتها ومكتسباتها التي طالما حاول السجّان انتزاعها في إطار الممارسات القمعية والوحشية واللاإنسانية التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الأسرى الفلسطينيين المحتجزين لديها لكسر شوكتهم، وتحطيم عنادهم، وزعزعة إيمانهم بقضيتهم العادلة.

■■ صهر الوعي

يعتبر وليد دقة اليوم من الأسرى الفلسطينيين المتمرسين في الكتابة فكراً، ومقالةً وأدباً، ففضلاً عن تمرسه في كتابة المقالة السياسية، أنجز هذا المناضل كتاباً فكرياً بعنوان "صهر الوعي"، ورواية بعنوان "سر الزيت"، والعشرات من المقالات السياسية. في شهر تموز/يوليو عام 2009، سرّب وليد رسالة/ مقالة من سجن "جلبوع"، وصف فيها أساليب التعذيب والقمع في سجون الاحتلال، وتلخص تلك الرسالة ما ورد في كتابه "صهر الوعي: أو في إعادة تعريف التعذيب". يقول في رسالته تلك:

«لا يشبه القمع والتعذيب في السجون الإسرائيلية حالات القمع والتعذيب التي تصفها أدبيات السجون في العالم. ليس هناك حرمان فعلي من الطعام أو الدواء، ولن تجدوا من هم محرومون من الشمس ومدفونون تحت الأرض.

لا يكبل الأسرى كما في الروايات بسلاسل مشدودة لكتل حديدية طوال النهار. فلم يعد الجسد الأسير في عصر ما بعد الحداثة هو المستهدف مباشرة، وإنما المستهدف هو الروح والعقل. نحن هنا لا في سجن "أبو زعبل" ولا حتى "أبو غريب" أو "غوانتنامو" من حيث شروط الحياة. ففي كل هذه السجون تعرف معذّبك وشكل التعذيب وأدواته المستخدمة. وأنت تملك يقينًا على شكل تعذيب حسّي مباشر. لكنّك في السجون الإسرائيلية تواجه تعذيبًا أشد وطأة بـ "حضاريته" يحوّل حواسك وعقلك لأدوات تعذيب يومي. فيأتيك هادئًا متسللًا لا يستخدم في الغالب هراوة ولا يقيم ضجّة. إنه يعيش معك رفيق الزنزانة والزمن والباحة الشمسية والوفرة المادية النسبية".

لقد تنبّه وليد دقة لهذه القضية بحكم تجربته الاعتقالية الطويلة، وفكره الوقاد. فهذا الأمر "صهر الوعي" تمارسه الحركة الصهيونية منذ إقامة دولة الاحتلال على أنقاض شعب عملت، ولا تزال تعمل على إبادته، وإن فشلت في تحقيقه داخل الحركة الأسيرة، بشكل خاص، وبين أبناء الشعب الفلسطيني، والغالبية العظمى من أبناء أمتنا العربية والإسلامية وأحرار العالم، بشكل عام، إلا أنّها بدأت ترى نتائج "كيّ الوعي" بين مجموعات من أبناء "العرب" الذين بدأوا يتبنون الرواية الصهيونية المزيّفة على حساب الرواية الفلسطينية الحقيقية، وكأنّهم يمرون في مرحلة "تصفية حسابات" مع الفلسطيني الذي ساهم في بناء "دولهم"، وتعليمهم الكتابة، وعلاج مرضاهم ... إلخ....

وعلى الرغم من بروز هذه النقيصة إلا أنّ النقيض هو الأقوى في مقاومة "كيّ الوعي"، لأننا مؤمنون، كفلسطينيين، بأنّ فلسطين تجذرت كهوية نضالية في عقول وضمائر ووجدان مئات الملايين من أبناء الأمة، والعالم بأسره، وإلا لما كانت هذه العناية بقضية الأسرى الفلسطينيين اليوم كواحدة من أبرز عناوين النضال الوطني الفلسطيني.

الحرية للأسير البطل وليد دقة
الحرية لأسيراتنا وأسرانا من فلسطينيين وعرب آخرين
الحرية لفلسطين التي لن تكون إلا فلسطين
شاعر فلسطيني مقيم في مدينة نابلس

أسير الحرية وليد نمر دقة الانسان والثائر

■■ بقلم : الأسير المحرر محمد خلف
أبو تحرير

شاءت ظروف الاضطهاد والاحتلال الصهيوني ضد شعبنا الفلسطيني ووطنه فلسطين أن تجمعني بالأسير وليد نمر دقة من سكان مدينة باقة الغربية ومع بقية رفاقه من نفس الخليّة التابعة للجبهة، وأيضا بالكثيرين من رفاق الأسر. وليد أسير استثنائي متمرد على واقع الأسر المرير مثلما كان متمرّدا وثائرا خارجه. قبل أن تُصدر بما يسمى المحكمة المركزية في تل ابيب حكمها الجائر عليّ اثني عشر عاما كنت طيلة الوقت ومن خلال نشاطي السياسي ونشاطي بقضية الأسرى أسمع عن هذه الخليّة وعن أحد أعضائها البارزين، ألا وهو الأسير وليد نمر دقة. كنت أنا وبعض الرفاق نقوم بزيارة أهله وأهل بقية الاسرى برفقة أهاليهم الى سجن عسقلان وكنت مُصرّا للتعرّف عليه عن قرب ولكن قصر مدّة الزيارة لم تسنح لي بالتعرف عليه كما تتطلب الحاجة حتى جاء اليوم الذي اعتقلت فيه وكان أن التقيت به في سجن الجلبوع حيث كان يتواجد وليد والمحكوم عليه بالسجن المؤبد على خلفية تصفية جندي إسرائيلي.

ما إن وطأت قدماي سجن الجلبوع، بعد عناء طويل وشاق من خلال السفر في "بوسطة" الأسرى، وإذ بصوت يعلو من إحدى الغرف ينادي باسمي فإذ به وليد، سرعان ما أرسل لي بشنطة مليئة بالملابس والحاجيات الأساسية التي يحتاجها أسير قادم من أقبية التحقيق النتنة التي مكثت فيها شهرين محرومًا من كل شيء لأنّ المحقّقين يمنعوننا من امتلاك أي شيء داخل الزنازين كجزء من الضغط النفسي من أجل ابتزاز الاعتراف بأقصر مدة ممكنة. وليد الانسان المعطاء يدرك ذلك جيدا فشهامته ووعيه الوطني هما الدافع له للقيام بذلك، فهذه الحالة تشمل جميع الاسرى السياسيين، أسرى الحرية.

بعد فترة من مكوثي في السجن، شاءت الظروف أن نجتمع سوية في غرفة واحدة، ممّا أتاح لي التعرّف عليه عن قرب. كان كثيرا ما يبادر بتجهيز الطعام لرفاقه، لقد كان بارعًا في ذلك، كان يمارس الرياضة اليومية في ساحة السجن ويُكثر من المطالعة والكتابة ويقوم بإرسال مقالاته السياسيّة والأدبيّة الى خارج السجن بوسائله الخاصة متجنّبًا عين الرقيب والذي يمنع عادة تسريب أي مادة لأي أسير كان إلى خارج السجن لأنّ إدارات السجون وأمنها يعملون المستحيل من أجل تحويل الأسرى إلى مجرّد أرقام وكتل لحميّة متحرّكة داخل قبور الأحياء، محاولة مستميتة لكيّ وعيهم، ولكن وليد المتمرد والثائر، وبوعيه الثاقب وصلابته المعهودة وإرادته القويّة استطاع أن يتغلّب على كل هذه الوسائل الخبيثة والتدجينيّة، حوّل السجن إلى جامعة للدراسة وحصل على الماجستير. هذا غير مطالعة المئات من الكتب وكتابة المقالات السياسية وغيرها والتي قرأت الكثير منها في الصحف عندما كنت خارج السجن، فعندما تقرأ ما يكتبه وليد تشعر بأنك امام إنسان عميق المعرفة والثقافة في شتى المواضيع.

أمّا على الصعيد الإنساني فهو يتميز برقّة مشاعره. في إحدى المرات، حين عاد من الزيارة، شاهدت علامات العبوس والهموم على محياه، فاشرت بالسؤال إليه: "من زارك اليوم؟"، فأجابني وعيناه مغرورقتان بالدموع: أمّي".. وبدأ يسرد ما كان خلال الزيارة من مشهد مأساوي يطال الكثير من الاسرى، وخصوصا أسرى "ما قبل أوسلو" من الذين أمضوا عشرات السنوات داخل قبور الاحياء، قال لي حينها "سألت والدتي: هل تعرفين من الذي امامك؟ فأجابتني أعرف بأنّ لي في السجن ابن ولكن نسيت اسمه!" كم كان هذا الجواب مؤلما لوليد.. رغم ما كان، إلّا أنّ شخصية وليد وعواطفه الجيّاشة لم تحدّ من نشاطه كقائد وطني بارز في الحركة الاسيرة ولم تحدّ أمام قيامه بدوره التثقيفي والقيام بفعاليات والتخطيط مع بقية رفاقه لخطوات احتجاجية كالإضراب عن الطعام والقيام بدور صقل بقية الاسرى وخصوصا من الجدد وتحصينهم بالثقافة والوعي أمام الهجمات الشرسة التي تقوم بها الإدارة داخل السجن من سياسة الحرب النفسية وسياسة صهر الوعي، وكم تعرّض وليد للقمع ونقله من سجن إلى آخر، ومن عزل إلى آخر.

في إحدى السنوات كانت وما زالت الناشطة بشؤون الاسرى سناء أحمد سلامة من الطيرة تزور وليد في سجنه، ومع تكرار الزيارات تعلّق الاثنان ببعضهما البعض وقرّرا الزواج، ووليد داخل السجن، وتم ذلك. ناضل وليد وزوجته من أجل أن تسمح لها إدارة السجن من الانجاب ووصلت شكوى وليد إلى المحكمة العليا دون أيّة نتيجة، قدّم للمحكمة العليا الكثير من الأمثلة على قتلة يهود قتلوا عدد كبير من العرب وأبرزهم السفّاح عامي بوبر مسؤول مذبحة "يوم الأحد الأسود/عيون قارة" في "ريشون ليتسيون" والتي راح ضحيتها العشرات من عمال قطاع غزة بين قتلى وجرحى، ولكن لا حياة لمن تنادي. أمام إدارة السجون وعنصرية المحكمة العليا اضطر وليد مثل بقية الاسرى بالتفكير بخطّة من أجل الانجاب واستطاع أن يهرّب النطف من داخل السجن بكل دهاء، وكان أن رُزق بطفلة جميلة جدًا اسمها ميلاد.، لطالما حلم مع زوجته بإنجابها طيلة مكوثه في السجن والتي على أثرها عوقب بالعزل ومن حرمان الزيارة لستة أشهر.

والشيء الآخر هو تأليفه لرواية "حكاية سرّ الزيت"، التي لاقت رواجا كبيرا في الأوساط الأدبيّة والشعبيّة والرسميّة، ممّا يؤكد وليد ورفاقه، وبرغم الحصار الخانق، قدرتهم على انتزاع الحياة من بين براثن القيود. في قاموس وليد لا مكان للاستسلام أو الركوع.

لقد مضى على مكوثه ما يقارب الثلاثة عقود ونصف، وتبقّى من حكمة الجائر ما يقارب الأربع سنوات، ولكن مع كل أسف ونتيجة الإهمال الطبي المتواصل أصاب وليد وعكة صحية خطيرة يضطر كل فترة بتغيير الدم في مستشفى زيف في صفد، فالعشرات من الأسرى في السجون الصهيونية يعانون من هذه الحالة دون أي افق لتحريرهم..

الحرية لأسير الحرية المناضل والكاتب وليد نمر دقة وجميع الاسرى والاسيرات.

■ من سكان جت المثلث، سجن 18 عامًا (3 فترات إعتقاليّة)

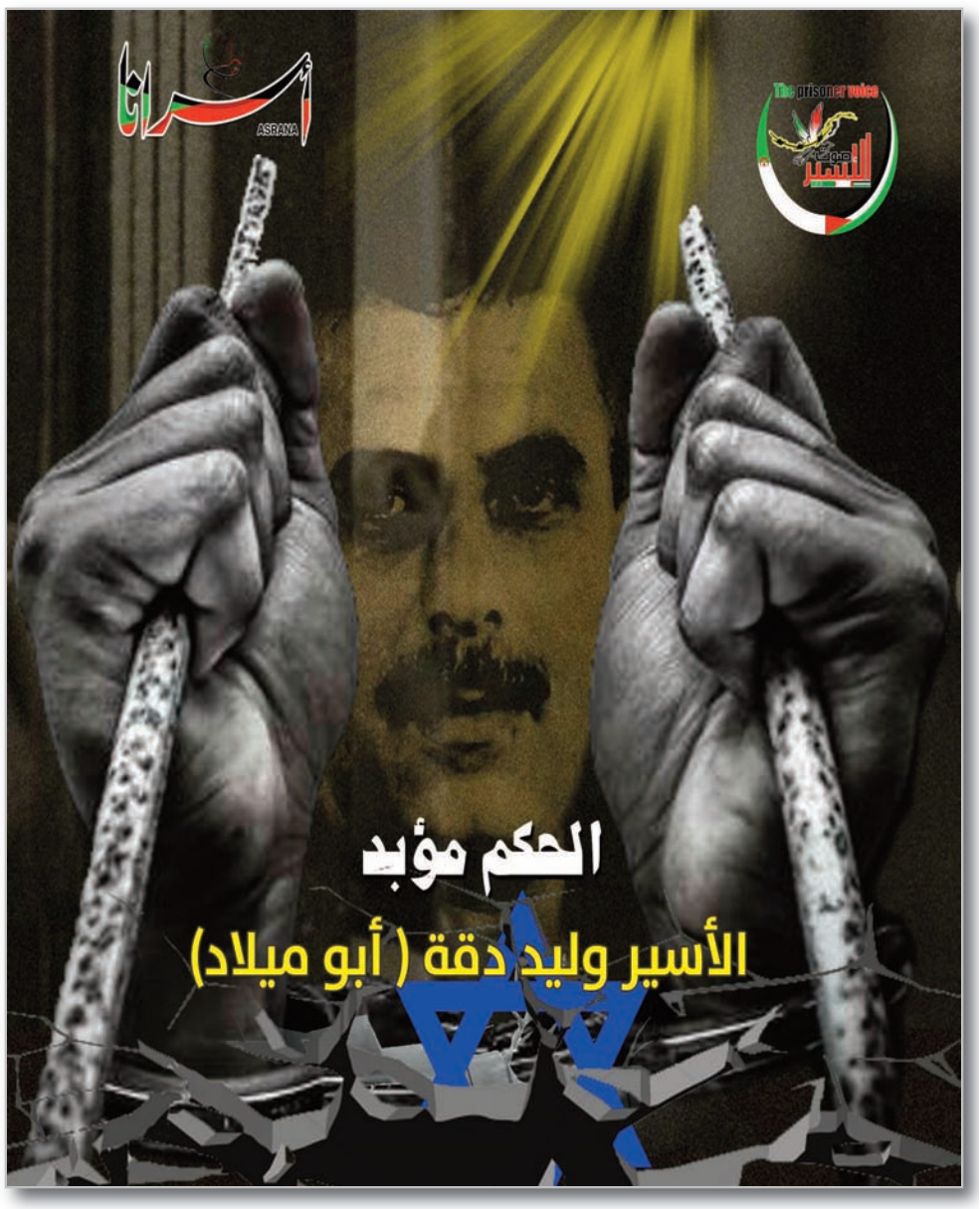

بعد الصيف وقبل الشتاء

■■ بقلم: بلال عودة
أسير محرّر- القدس

في الأسبوع الثاني من شهر تشرين أول للعام 2011 كنا نخوض بالأسر معركة الأمعاء الخاوية (الاضراب عن الطعام)، حيث كنت ومئات الاسرى بسجن "جلبوع" (القابع على ارض مرج بن عامر المحاذي لمدينة بيسان المحتلة)، وعلى اثر خوضنا هذا الاضراب قام السجانين بمصادرة مقتنياتنا القليلة والمتواضعة أصلا، ومنعنا من الخروج لساحة القسم، وفي ظل هذا التحدي القائم بدر إلى مسامعنا الوصول لاتفاق حول تبادل الاسرى بين حركة حماس ودولة الاحتلال، حيث كنا ننتظر هذا الحدث منذ سنوات، ومن خلال جهاز الراديو الذي تمكنا من إخفائه سمعنا الخبر وتأكدنا من صحته، وبدوءا يذيعون أسماء الاسرى المنوي تحريرهم. وعلمت ان وليد مِن مَن لم تشملهم صفقة تبادل الاسرى. كانت صاعقه بكل ما تحمل الكلمة من معاني. وخلال تلك الاحداث كان صديقي ورفيقي وليد دقه موجود بقسم آخر ولا معلومات لديه عن أسماء المحررين. عند المساء قام السجانين بجمع قيادات الاضراب، وبالتالي سيكون وليد أول الحاضرين، وعليّ إبلاغه ذلك الخبر المؤلم.يرافقني السجان نحو غرفة الانتظار، أحاول لملمة ذاتي قبل لقاء وليد، أحاول جمع خيوط السعادة لتحرر أصدقاء مع خيوط الحزن لعدم تحرر أخ وصديق، ألا وهو وليد. دخلت الغرفة وهي تعج بعشرين أسيرا، تقدمت بحذر، ألتقط ما توفر من هواء بهذه الغرفة الضيقة، زاد اختناقي، سمعت صوت وليد بين الأصوات المتطايرة، ينادني، ويؤشر لي بالقدوم نحوه. أخذت طريقي بزحمة المكان والروح، تعانقنا بحرارة، ارتعشت من شدة الحزن والألم. كانت يده قوية كما دوما، نظر إلى عيني وسألني: ما بك؟ أبلغته الخبر المؤلم بصوت يرتجف. صمت رهيب عمّ الحوار بيننا رغم الفوضى المحيطة بنا....

وضع يديه على كتفاي، أحكم قبضته، رفع رأسه نظر في وجهي كنسر محلّق في أعنان السماء رغم جدران المكان. وقال بصوت واثقا لا يقبل الشك: المهم أنّ هناك أسرى سيتحررون، وأضاف: نحن لا نتوقع من أعدائنا التنازل بسهوله، نحن نخوض معركه قد تطول وطول النفس مطلوب، اعتقلت عام 1985، تحرّر آلاف الأسرى بنهايات التسعينيات وبصفقة التبادل مع حزب الله عام 2004 وعام 2008 ، مر عليّ وعلى رفاقي الكثير من الانتكاسات الشخصية، لكن الموضوع انتصارنا الجماعي وتحرر أسرى رفاق وأخوه لنا هو الانتصار الذي يسجل لنا جميعا ، وسيأتي يوم التحرر والانعتاق من نير السجان والاحتلال.صمتٌ من جديد ألقى بظله علينا والهرج والمرج من حولنا يزداد، صمتٌ به ما لا يمكن كتابته بكل لغات الكون، فلكم أيها القراء تخيّل ذلك الصمت المدوي.أخرجنا وليد من ذلك الصمت بتهنئة إخوانه ورفاقه الذين شملتهم صفقة التبادل، يتبادلون معه التحيات، قوة إرادته الصلبة لا تسمح لأحد بأن يفكر مجرد تفكير بالتعامل معه بتعاطف ومواساة، بل على العكس يشعرهم بحجم السعادة والفرح الحقيقي لتحرّرهم. وأشعرنا جميعا بأن النصر له والحرية له بوعيه وعمق انتمائه لإخوانه ورفاقه. نظر إليّ وليد من على بعد ثلاث أمتار تقريبا، رفع رأسه عاليا، نظر نحو المتاح من فراغ، وقالت عيناه: كل يوم تغيب به شمس يقترب الفجر القادم لا محال، وها نحن نودّع شموسا لتعانق سماء الحرية حتى اللقاء القادم حتما. بعد ساعة أعادونا للأقسام، تحرر من الغرفة التي يعيش بها وليد أسيران، ومن نفس القسم تسعة أسرى ومن نفس السجن خمسة وثلاثون مناضلا ومن كل السجون أربع مائة وخمسون أخ وصديقا ورفيقا لوليد عانقوا الحرية. وبقي وليد يعدّ السنوات واحده تلو الأخرى، يكتب الشعر، المسرح، الادب والسياسة، يصنع الطعام لزملائه، يقدم كل ما لديه من معرفه وعلم للأسرى من حوله، لا يضيع الوقت دون عمل وإنتاج، لا ييأس أبدًا، طويل النفس، تنتظره زوجته سناء ويكبر الحلم بينهم ويزهر ميلاد، الميلاد الذي يطوق اليه وليد ليولد من جديد منتصرا بإراداته الفولاذية ووعيه الاستثنائي. القرّاء الأعزاء، بكل تأكيد كل الكلمات لا تصف الصديق العزيز وليد، بل تقف عاجزة أمام تلك الملحمة البطولية التي شكّلها من دمه وعمره على مدار خمسة ثلاثون عاما، صِدقًا إنه رجل إستثنائي بزمن إستثنائي، حتما ستشرق شمس الحرية ليحقّق وليد أحلامه مع زوجته المناضلة والصابرة سناء، ويحتضن ابنته ميلاد، ميلاد التي طالما حدّثني عنها، كان يحلم بها قبل ان تخرج لحيز الوجود بسنوات، ميلاد الأمل الحقيقي لما ينتظر وليد الانسان الطيب الصلب المرهف الإحساس. بعد الصيف وقبل الشتاء كان الخريف ليلقي بظلّه على وليد مستَشيئاً من التحرّر إلى حين. يلاطم أسوار السجن منتظرا ربيع الاحلام ليتحقق، وتغدو الساعات والأيام ربيعا لا منتهى له.

وليد دقة: ملامح "أدلوجة" جديدة للوطن الأسير

■■ بقلم: أحمد طه الغندور

لا شك أن الكتابة عن فارس استثنائي من عمداء الأسرى الفلسطينيين في "المعتقلات الإسرائيلية"، يتطلب الكتابة بلغة أكثر حصافة؛ خاصةً إذا كان هذا "العميد" من قادة الفكر المؤثرين لدى الحركة الأسيرة.

وما من شك أن التجربة "الإعتقالية"؛ هي تجربة خاصة لكل "معتقل" يمكن النظر إليها بكثير من الفكر، والتعبير عنها بالعديد من القوالب المعرفية، فهي كل الحكايات بين الهزيمة والنصر، أو إن شئت فقل؛ بين الاستسلام والمقاومة!

وعميدنا اليوم؛ تجاوز هذه المرحلة بكثير، بل أصبح يرسم مفاهيم خاصة أو أيدولوجية خاصة بـ "التجربة الإعتقالية"، والوطنية، وإذا أردنا أن نستخدم لفظاً مُعرباً لكلمة "أيدولوجية" فعلينا أن نقول؛ " أدلوجة " كما عرّفها الدكتور عبد الله العروي من المغرب الشقيق!

وقبل الحديث عن بعض ملامح هذه الإدلوجة، علينا أن نُمهد بالحديث عن البطاقة الإنسانية لـ " عميدنا " وليد دقة، حتى تتضح الصورة بأبهى تجلياتها. فعن حياته؛ فقد وُلد العميد " دقّة " بتاريخ 1 يناير/ كانون الثاني من العام 1961، لأسرة فلسطينية تتكوّن من ستة أشقاء وثلاث شقيقات، في باقة الغربية، وكأن القدر يُخبره بأن يوم ميلاده سيكون تاريخ انطلاق واحدة من أنبل حركات المقاومة في التاريخ الحديث!

حظي " وليد " على فرصته بالتعليم في مدارس مدينته، وأنهى دراسته الثانوية فيها، ولما لم يحالفه التوفيق في إكمال تعليمه والالتحاق بالجامعة، سعى إلى الانتقال لسوق العمل في إحدى محطات تسويق المخروقات.

جرى اعتقال " وليد " برفقة مجموعة من رفاقه، وهم: إبراهيم ورشدي أبو مخ، وإبراهيم بيادسة. وجرى اتهامهم باختطاف "جندي احتلالي" يُدعى "موشي تمام" وقتله من مدينة "نتانيا" في العام 1984، وحكم عليهم بالسجن المؤبد مدى الحياة، حيث أمضى منها ما يزيد عن 35 سنة.

ويعتبر " عميدنا " واحدًا من بين 30 أسيرًا فلسطينياً؛ ممن تمكن أثناء أسره من مواصلة تحصيله الأكاديمي في المعتقل، حيث حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية، وقاد " دقّة " الكثير من المعارك النضالية داخل "المعتقل"، وانضم وهو في "المعتقل" إلى صفوف حزب التجمّع الديمقراطي. وفي عام 1999 .

اقترن "عميدنا " بالصحافية والناشطة السياسية " سناء أحمد سلامة " واعتبر زواجهما سابقة في تاريخ الحركة الأسيرة، فقد أجبر الأسرى الاحتلال على السماح لهم بالتقاط الصور والفيديو وتشغيل الموسيقى كأي حفل زفاف عادي وحضور أهل " وليد " ومعانقته للمرة الأولى والأخيرة وبحضور تسعة من الأسرى. وعن زواجها بـ " وليد " تقول " سناء ": " تعرّفت عليه عام 1996 كنت أكتب لصحيفة اسمها الصبّار كانت وما زالت تصدر في يافا، وكانت كتاباتي دائماً تتناول أوضاع الأسرى وشؤونهم، ربما لأن خلفية الأسر ومعناه كانوا متوفرين لديّ لأن والدي كان أسيراً ثلاث مرات!

وقد كنت أستقي أخبار الأسرى من الأستاذ عبد الرحيم عراقي؛ الذي كان وقتها رئيساً لجمعية أنصار السجين، اقترح عليّ بأن أستقي أخبار الأسرى من الأسرى أنفسهم وأعطاني اسم وليد، وفعلاً ذهبت وزرته، ما شدني إليه ثقافته الواسعة والطريقة العملية التي يفكر بها ويدير بها شؤونه وشؤون السجن بالتعاون طبعاً مع رفاقه الأسرى. كانت أول زيارة له عبارة عن تعارف وسألته يومها إذا كان بحاجة لأي أمر يمكنني أن أوفره له وعلى الفور قال: "نعم طبعاً أنا بحاجة لكتاب "الحرب والاستراتيجية" للكاتب الإسرائيلي العسكري "يوشفاط أركابي" أحتاجه في دراستي"، وطبعاً وفرت له الكتاب وعدت لزيارته بعدها بشهرين وأنا أحمل الكتاب، وخلال الشهرين كان قد أرسل لي مع أهله مقالة طلب أن أنشرها له في صحيفة كل العرب وفعلاً نشرتها وكان موضوعها "رأي حول ترشيح عربي لرئاسة الحكومة". (بعد زيارتي الأولى لوليد بأعوام قال لي بأنه في تلك الزيارة كان قد عرف وقرّر بأنني الإنسانة التي يريدها أن تشاركه حياته).وفي تحدي جديد؛ وبعد انتظار دام 21 عاماً، رزق " عميدنا " بابنته " ميلاد " التي جاءت إلى العالم 3 فبراير/ شباط من العام الجاري، بعد حمل زوجته عن طريق نطفة مهربة، وذلك بسبب الإجراءات العقابية التعسفية، التي منعت الزوج من الاتصال المباشر وبقرار قضائي منع الزوج من الانجاب الطبيعي!

أما إذا أردنا الحديث عن شخصيته، فربما أظهرت السطور السابقة بعضا من " الكاريزما " التي يتمتع بها " وليد "؛ هذا الحب والإصرار على مواصلة التعلم، وهذه الإرادة التي لم تخضع يوماً "للسجّان" وظلمه المتواصل، حكماً بالسجن المؤبد- وهو في هذه الحالة يُعادل (99) سنة أُضيف إليها سنتين أخرى في قضية إدخال هواتف نقالة للأسرى، والتي دخل على أثرها النائب السابق، د. باسل غطاس، إلى السجن لمدة عامين!

وبالرغم من أنه يعاني من عدّة مشكلات صحية، يماطل الاحتلال في إجراء الفحوص اللازمة له أو عرضه على طبيب مختص، كحال سائر الأسرى في المعتقلات الصهيونية حيث المعاناة من سياسة الإهمال الطبي، ولكن كل ذلك لم يمنعه من التحصيل العلمي، وكتابة المقالات والروايات، وأن يكون صاحب فكر مميز في المقاومة، وأن يُعتبر من أبرز مفكري الحركة الأسيرة، وله عدة مؤلفات وبحوث مهمة أبرزها كتابه "صهر الوعي"، كما كتب " وليد " العديد من الرسائل داخل أسره، أشهرها الرسالة التي كتبها للمُفكر "عزمي بشارة"، والتي استوحت منها مسرحية الزمن الموازي عملًا درامياً يصفّ واقع حياة الأسرى، ويعرض قصّة " الأسير وليد دقة وزوجته سناء ".كما كتب " العميد " رواية في أدب اليافعين، " حكاية سرّ الزيت "، الصادرة عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي عام 2018 وقد فازت الرواية في ذات العام بجائزة الاتصالات عن أدب اليافعين العالم العربي، المقدّمة من دولة الإمارات العربية المتحدة.قد يكتفي البعض بما سبق ذكره للتأصيل في دراسة شخصية " وليد "، لكنني أجزم أن عبقرية تلك الشخصية، والتي تُضاف إلى " عبقريات العقاد " تتبلور فيما سطره " العميد " في مقالته لصحيفة "الحدث" بتاريخ 2020/4/16 خلال حملة التنكيل الأخيرة به، حيث تعرّض للنقل التعسفي، والعزل، والحرمان من الزيارة عقاباً له على نتاجاته الفكرية، وتحرير نطفة مكنّته وزوجته " سناء " من إنجاب طفلتهما " ميلاد ". في هذه المقالة، المحررة من السجن على ثلاث دفعات، من الإحاطة والعمق ما يجعلها درساً في استعادة الروح الجامعة لترميم ما تهاوى من الهوية الوطنية الفلسطينية في كافة أماكن المقاومة بدايةً من "المعتقل" والنصر على "السجّان" إلى الوطن الكبير بمشروع التحرير الكامل!

مقالةٌ، حُق لها أن تدخل " أرشيف الثورة " من أوسع الأبواب، وأن تُشكل منهج تحرير متكامل لكل ثائر!

في الختام؛ وأنا أحمل لـ " العميد " بشريات النصر والحرية، وهو " العبقري " صاحب الفكر المميز، أذكره بما صدح به " شاعرنا الشهيد " محمود درويش في قصيدته " إنسان ":

يا دامي العينين والكفين!
إن الليل زائل
لا غرفة التوقيف باقية
ولا زرد السلاسل!
نيرون مات، ولم تمت روما –
بعينيها تقاتل!
وحبوب سنبلة تجف
ستملأ الوادي سنابل ...!
إنها الحرية يا عزيزي تهدم ظلامهم لتنير دروب
الوطن، فإن الفجر أقرب مما يظنون!

هل يأتي الماضي غداً؟

وليد دقة: نحلق الآن في سرمدٍ لا ينتهي!

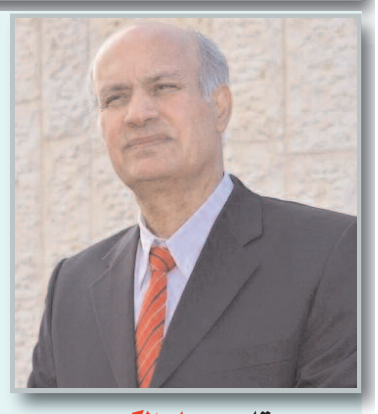

بقلم : بسام الكعبي

لم يتمكن الأسير وليد دقة حتى اللحظة من مشاهدة ملاكه الصغير (ميلاد)، وبالكاد استمع إلى صوت نجمته عبر الهاتف، وقد احتفظ بصورة لكريمته الرضيعة بزنزانة ضيقة في معتقل جلبوع؛ حاول بين جدرانها ضابط سجون الاحتلال تجريده من سحر ابتسامة تضيء عتمة زنزانته.

رأتْ (ميلاد) النور في مدينة البشارة (الناصرة) شمال فلسطين المحتلة صباح الاثنين 3 شباط 2020 بنطفة محررة؛ نجح وليد بتهريبها رغم الحواجز والجدران والأسلاك الشائكة، كما نجح في ذلك 88 أسيراً على مدار سنوات سابقة. وظف وزير الداخلية الإسرائيلي أرييه درعي حملة التحريض الفاشية ضد وليد، ورفض تسجيل (ميلاد) باسم والدها الأسير، ومنع إصدار شهادة ميلاد تحمل اسم (ميلاد وليد دقة)! بقصد حرمانها من حقوقها، وقطع الطريق على بريئة جميلة لزيارة والدها في السجن. تمكنتْ زوجة وليد، المحامية والناشطة الحقوقية سناء سلامة، من تسجيل ابنتهما (ميلاد) في بطاقتها الشخصية، وكانت سناء قد حُرمتْ من زيارة زوجها منذ ظَهَر حملها، فيما اقتيد وليد للعزل الانفرادي بعد أن أبصرت رضيعته النور بأربعة أشهر؛ في سلوك ثأري يكشف مستوى الكراهية والعنصرية، وقد تعرض في زنزانته لابتزاز يستهدف التوقيع على وثيقة يقر بموجبها عدم تهريبه أي نطف! لكنه رفض قطعياً هذا الابتزاز، وتصدى له بشجاعة، مؤكداً أن (ميلاد) ابنته التي حلم بها منذ عشر سنوات ونسجها في خياله.. وباتت حقيقة مطلقة من ملامح وروح.

تحرر وليد من عزله الانفرادي عقب تهديد رفاقه بإعلان اضراب مفتوح عن الطعام، وذلك بسبب حاجته للمتابعة الصحية الدائمة: ظهرتْ أعراض مرض تخثر الدم على وليد أواسط العام 2009، ويتطلب تكشف الدم (بوليتسينيميا) أدوية خاصة، فحوصات دائمة، وسحب كميات من الدم كل شهر، تجنباً لنوبة قلبية تهدد حياة المريض، أو تعرضه لنزيف يشكل خطراً على المفاصل والشرايين.

تمكنتْ زوجته المحامية سناء من زيارته لأول مرة بعد ولادة (ميلاد) أواسط تموز 2020 في سجن جلبوع في غور بيسان جنوب بحيرة طبريا، وظلتْ (ميلاد) في البيت، وسيطرتْ على حديث شغل زوجين يفصل بينهما حاجز زجاجي منذ عقد زواجهما نهار 10 آب 1999.

رَصَدَ وليد (ميلاد) في نصه الفلسفي الفذ (الزمن الموازي) الذي كتبه بداية بصيغة رسالة نشرها سنة 2005 متزامنة مع مرور عشرين سنة على اعتقاله! ثم طور الرسالة سنة 2011 ووضعها في صيغة مكتملة، وكشف في نصه تفاصيل نظام حياة الأسير التي تسير في زمن موازٍ للزمن الاعتيادي للبشر؛ وكأن لهم ساعة زمنية خاصة بهم تطوي أعمارهم بمعزل عن ساعات ترصد زمن الناس خارج الجدران، حيث ثبات عقارب الساعة في السجون، وغياب استخدام وحدات الزمن العادية كالدقائق "إلا حين يلتقي خطا زمان الأسرى وزمان الزوار عند شبك الزيارة".. يتلامس الزمنان المتقابلان للأسرى وذويهم لبرهة قصيرة جداً على الشبك، وفي حالة استثنائية، ويفترقان!

التقط مسرح (الميدان) في حيفا نص (الزمن الموازي) وتمكن المخرج الشاب بشار مرقص من صياغته سنة 2014 بقالب مسرحي على الخشبة؛ مستوحياً أحداث المسرحية من نص وليد: نجح الأسير (وديع) مع رفاقه بتصنيع آلة عود بالسر؛ للاحتفال بزواجه الوشيك من حبيبته (فداء) على أمل أن ينجبا طفلهما (ميلاد)، وتصعد دراما المسرحية إلى ذروتها عندما يناجي (وديع) طفله المنتظر (ميلاد) الذي لم يولد بعد.. وترتجف منه دولة مسلحة بالنووي من رأسها إلى قدمها!

وقارب مشهد مسرحي عذاب (وديع) بآلام السيد المسيح عليه السلام؛ عندما عاد من جولة تحقيق قاسية، مقيداً بالسلاسل، يقطر دماً، ويترنح تحت سلم خشبي على شكل صليب؛ في دلالة على درب الآلام التي يقاسيها (وديع) وبرمزية بالغة الدلالة على معاناة (وليد) ورفاقه الأسرى القدامى؛ الذين يحملون "صليبهم" منذ سنين طويلة جداً على ظهورهم، واكليل شوك يدمي جباههم العالية.. دون ندم أو لحظة انكسار.

فَجّر (الزمن الموازي) غضب الكيان المحتل، وهدد وزراء في حكومة نتنياهو المتطرفة بمنع عرض المسرحية ومحاكمة المسؤولين في مسرح (الميدان) الحيفاوي، تحت ذريعة أن النص يروي سيرة مقاتل أسير متهم بالمقاومة المسلحة ضد الاحتلال! وحرضتْ وزيرة "الثقافة" ميري ريغيف على المسرحية: "لن نمول من جيوبنا عروضاً مسرحية تتسامح مع قتلة اليهود"! وتم مطلع حزيران 2015 الإعلان عن تجميد موازنة المسرح، الذي تقدمه بلدية حيفا من أموال الضرائب والخدمات التي تجبيها من سكان المدينة العرب واليهود، إلا أن مؤسسة (عدالة) الحقوقية تمكنتْ أواسط نيسان 2016 من التصدي لإملاءات سياسية عنصرية، ونجح الناشطون الحقوقيون بإعادة ميزانيات مسرح (الميدان)، واحتفظ بحقه في الإنتاج الفني دون مسّ بالمحتوى، وبخاصة مضمون مسرحية (الزمن الموازي).

دوّن وليد في نصه: "قابعون في الزمن الموازي قبل انتهاء الحرب الباردة، وانهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وسور برلين، وقبل حرب الخليج الأولى والثانية والثالثة، وقبل مدريد وأوسلو، واندلاع الانتفاضة الأولى والثانية.. نحن جزء من تاريخ معروف بأنه فعل ماضٍ انتهى، إلا نحن ماضٍ مستمر لا ينتهي.. منٌ يوقف الزمان؛ فهذا دمي الذي ينزف لدقائق، وتلك روح رفاقي التي تحلق لا عقارب الساعة".. وتظل ارادة الأسير وليد تطوع الألم حتى يطل الأمل؛ بانتزاع الحرية من سؤال الزمن "المستحيل": هل يأتي الأمسُ غداً؟ سيأتي الماضي غداً، في حالة استثنائية متفردة، استجابة لإرادة صلبة لا تعترف بالمستحيل.

قارب وليد بنصه (الزمن الموازي) بفلسفة عالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان (1925–2017) الذي اعتبر أن جوهر الأزمنة السائلة العيش في عصر اللايقين، وإدارة الخوف، في حين أن جوهر الحداثة السائلة السيطرة على الزمان! ذلك أن "المعاني تهبط في ظل الحياة السائلة من سمّوها لتسكن دائرة السوق وتغدو سلعاً" وفق الاشتراكي باومان: هاجر عالم الاجتماع إلى "إسرائيل" سنة 1953 وغادرها فور تكشف طبيعة كيان مغتصب، نهض على التطهير العرقي. حاضر بمادة الفلسفة في جامعة وارسو (1954– 1968) قبل عمله بدرجة أستاذ في جامعة لندن، وتأثره بمدرسة غرامشي الفكرية، وتزويده المكتبة العالمية، قبل رحيله، بسبعة وخمسين كتاباً في حقل الفلسفة وعلم الاجتماع.

قدم الفيلسوف باومان نقداً لكيان مغتصب استغل الهولوكوست لتسويق أكاذيبه وتمرير قمعه: "إسرائيل لم تكن مهتمة اطلاقاً بالسلام، بل كانت تستخدم الهولوكوست كذريعة لتغطية جرائمها" كما ورد في إحدى مقابلاته مع الصحافة البولندية سنة 2011.

أعتقل وليد أواخر آذار 1986 وحكم بالمؤبد مع رفاقه الثلاثة رشدي حمدان أبو مخ، إبراهيم نايف أبو مخ وإبراهيم عبدالرازق بيادسة، بتهمة الانتماء للجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمقاومة المسلحة ضد الاحتلال. حددتْ لجنة إسرائيلية أواسط تموز 2012 حكم وليد بالسجن 37 سنة، وصادق شمعون بيرس رئيس دولة "إسرائيل" على توصيات اللجنة بتحديد سنوات المؤبد بين 35 إلى 40 سنة بحق مجموعة من الأحكام المؤبدة التي استهدفت شباب المقاومة المسلحة من الداخل الفلسطيني.

لم تتمكن جدران السجن طوال 35 سنة من محاصرة إرادة وليد؛ وقد واجه الاعتقال الطويل والمرير بالكتابة، والانهماك بكفاح الحركة الأسيرة، وخاض كل نضالاتها، وشارك في اسناد حق الأسرى في التعلم، واهتم بدراسته الأكاديمية، ونال درجة الماجستير في العلوم السياسية.

أصدر سنة 2010 (صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب) كشف في دراسته سياسة الاحتلال التي تستهدف معنويات الأسير في السجون؛ عبر إعادة صياغة عقله وفق رؤية إسرائيلية بصهر وعيه؛ ذلك أن التعذيب الجسدي لم يعد المستهدف المباشر. سجل وليد في وثيقته المحكمة: "باتت السجون الإسرائيلية اليوم بمثابة مؤسسات ضخمة لطحن جيل فلسطيني بكامله، بل أضخم مؤسسة عرفها التاريخ لإعادة صهر الوعي لجيل من المناضلين".

وثق سنة 2004 (يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002) ورصد جغرافية المقاومة في كتاب (حكاية سر الزيت) سنة 2018 مبرزاً قضية الأسرى، والحكاية جزء من ثلاثية كتبها لليافعين لا زالت قيد الطباعة: (حكاية سر السيف) تناول فيها قضية اللجوء والتهجير القسري و(حكاية سر الطيف) حلق فيها عالياً بالشهداء أكرم الناس جميعاً. حَرَصَ في جغرافية المقاومة على تحطيم جدران الصمت حتى لا يتحول الوطن إلى سجن واسع؛ يكتفي فيه "المواطن" بالمشاهدة، ويستمتع بتكرار الفرجة المسرحية من خلال صندوق عجب؛ يصلبهم في زنازين متنقلة ويكشف زيف حريتهم، وحذرهم من خطر الاكتفاء بالمشاهدة صارخاً: "حذار أن تصبحوا أنتم زنازين متنقلة".

تعرض وليد أواخر أيلول 2016 للعزل الانفرادي بذريعة محاولة نائب الكنيست باسل غطاس تهريب هواتف خليوية للأسرى لدى زيارته وليد، وأضافتْ المحكمة سنتين سجن على حكم وليد، وأصدرتْ حكماً على النائب غطاس عقب تجريده من الحصانة البرلمانية. وتعرض أيضاً أواسط تشرين أول 2018 إلى عقوبات إدارة السجون بسبب (حكاية سر الزيت)، وصادرتْ كتبه وكتاباته، ونقلته من معتقل جلبوع إلى سجن مجدو، وواصلتْ عقابه بنقله كل عدة أشهر من سجن إلى آخر، بما يعرف بسياسة (الكعب الدوار) التي تمارسها إدارة السجون بهدف ارهاق الأسير!

شهد وليد نمر أسعد دقة النور مطلع كانون ثاني 1961 في مدينة باقة الغربية (المثلث الشمالي) داخل "الخط الأخضر". ضمتْ "إسرائيل" ست بلدات فلسطينية وثلاثة وعشرين قرية في المثلث الشمالي والجنوبي إلى الأرضي التي استولت عليها في أعقاب عدوان 1948؛ عقب توقيع اتفاقية (رودوس) مطلع نيسان 1949 مع الطرف الأردني، وتم بموجبه تحديد خط "الهدنة" على امتداد الضفة الغربية، وقد باتت تحت السيطرة الأردنية منذ أواخر نيسان 1950 عقب مصادقة البرلمان الأردني على قرارات اتفاق أريحا مطلع 1949: عقد مؤتمر أريحا بموافقة معظم "وجهاء" الضفة الغربية و«نخبها" المتنفذة، وفرض الجنسية الأردنية على اللاجئين وأبناء فلسطين في الضفة حتى قرار فك الارتباط بين الضفتين نهاية تموز 1988. تلقى وليد بحزن شديد نبأ رحيل والده (نمر) سنة 1997 فيما واصلتْ والدته (فريدة) درب الآلام على بوابات السجون، وتميزتْ بحضورها القوي وشخصيتها المتماسكة، وقد حرصتْ على زيارة نجلها إلى جانب مجموعة من أسرى الدوريات العرب الذين تبنّت زيارتهم. للأسف، فقدتْ والدته المسنة (85 سنة) ذاكرتها بالتدريج، ولم تعد تقوى في الآونة الأخيرة على استعادة الأحداث والوقائع، ولم تعد قادرة على زيارة نجلها الأسير. حَطَمتْ الحفيدة (ميلاد) جدران السجن، وستحتفي قريباً بانتصار والدها على القيد، استجابة لتغريدة والدتها سناء سلامة: "حررتْ ميلاد والدها من قيده مبشرة بميلاد التحدي. اليوم جاءتْ ميلاد إلى الدنيا في مدينة البشارة الناصرة لتكون ميلاداً للبشارة حاملة نور المحبة والسلام" ومبشرة بانتصار وليد ورفاقه قريباً على القيد والسجان؛ لتضع نهاية لتقاطع خطي الزمن الموازي وتلامسهما مؤقتاً على شبك الزيارة؛ وكأنهما زمن صلب في جهة الأسرى وزمن سائل في طرف الزوار! هل نعيش أزمنة مركبة منفصلة متداخلة بين سائلة وصلبة في نفس الوقت؟ هل تُغلق (ميلاد) الهوة الواسعة بين جدلية الماضي والحاضر في (الزمن الموازي)؟ ربما تروي لرفيقاتها اليافعات حكايات سر الزيت، وسر السيف، وسر الطيف، وتبشر بانتصار السردية الكفاحية بمواجهة الانكسار والعبث والتهميش، وتكشف عجز "برجوازية الأطراف" و«النخب" الطبقية المتنفذة، في انجاز مهام حركة التحرر الفلسطينية، وانشغال شرائحها العليا بالامتيازات الفردية.

المواطن elmouatan@Gmail.com

أدب السجون الثقافة الخالدة

■■ بقلم : د. أحمد لطفي شاهين
الشبكة العربية للثقافة والرأي والإعلام

إذا كانت هذه البلاد ستنتصر وتحقق الحرية والعودة والاستقلال والعدالة للجميع، فإننا نحتاج لإعلاء صوت الذين لا صوت لهم، صوت المعتقلين الفلسطينيين الذين يقترب عددهم من الخمسة ألاف معتقل حاليا ... يجب علينا الارتقاء بكلامهم وأفكارهم ونشر كتاباتهم وإبداعاتهم. يجب علينا الاستماع لقصصهم الحقيقية التي عاشوها، قصصهم المعقدة بطريقة جميلة وموجعة .. ذلك لأن إنسانيتنا مرتبطة بهم بصورة لا انفصام لها،،،، ولا يوجد تجربة أفضل من تجربة المعتقل الفلسطيني الكاتب الأديب " وليد دقة "فهو مدرسة أدبية يجب ان تترجم دروسها الى كل لغات العالم ليقرأها كل مثقف وكل من يدعي انه يحمل ذرة من الإنسانية في قلبه.

إن من المؤسف ان أكثر من مليون فلسطيني تعرضوا للاعتقال منذ نكبة فلسطين عام **1948** م ولكن المؤسف أكثر ان البعض يشعر بالخطر عند قراءة أدب السجون، خوفا من إدراك مدى تشابه القيود داخل وخارج المعتقلات في جوهرها ومضمونها ، وإن اختلفت أشكالها وصورها .

عندما نتكلم عن "وليد دقة " فلا داعي لان نكتب سيرته الذاتية فهو معروف وكل تاريخه ومعلوماته وبطولاته مشهورة.. لكننا اليوم نتكلم عن جانب أدبي مميز ومبدع لإنسان راقي يقبع في زنازين انفرادية تحت الأرض أياما وشهورا ليقتلوا قلمه لكنه ما ان يخرج الى النور حتى يعود كأنه مولود جديد تفتحت عيناه على فضاء الشمس ليدق جدران خزان هذا العالم الأخرس عسى ان يفيق وكأنه يستلهم قوته من مجرد اسمه "وليد "..."دقة" .. يتساءل في قهر ...من يستطيع ان يوقف الزمان؟؟ فهذا دمي الذي ينزف لا الدقائق، وتلك روح رفاقي التي تحلق لا عقارب الساعة... إن اللحظة لا تتكرر، والزمان ينصهر في علب المكان، والمكان يتآكل فلا تتشابه الأيام ولا السنين... لكن صمت جدران السجون، يقطعنا آلاف المرات بزمانه ومكانه كسكين مثلوم... هذه السجون، مستنقع آسن للزمان ، وحين يصبح للزمان مستنقع يغدو له رائحة الموت، وللموت رائحة الموت فقط .. ولا شيء غير ذلك .. إذ لا يمكننا تجميل الموت مهما حاولنا.. إن الكف عن الصدمة والذهول، والشعور بأحزان الناس ، وإن تبلد المشاعر أمام مشاهد الفظائع.. كان ولا يزال هاجسًا يوميًا، ومقياسا لمدى صمود وصلابة المعتقل الفلسطيني كإنسان. ذلك لأنّ الإحساس بالناس وبألم البشرية هو جوهر الحضارة، وجوهر الإنسان العقلي هو الإرادة، وجوهره الجسدي هو العمل، وجوهره الروحي هو الإحساس، والإحساس بالناس وبألم البشرية هو جوهر الحضارة البشرية. وهذا الجوهر بالذات هو المستهدف في حياة السجين على مدار الساعات والأيام والسنين فأنت ، لست مستهدفًا ككائن سياسي بالدرجة الأولى، وأنت لست مستهدفًا ككائن ديني أو كائن استهلاكي تمنع عنه ملذات الحياة المادية. قد تتبنى أي قناعة سياسية تريد، ويمكنك أن تمارس شعائرك الدينية، وقد يتوفر لك الكثير من الاحتياجات الاستهلاكية، لكن يبقى المستهدف بالدرجة الأولى الكائن الاجتماعي والإنسان فيك... المستهدف هو أي علاقة خارج الذات، أي علاقة يمكن أن تقيمها مع البشر والطبيعة بما فيها حتى علاقتك بالسجان كإنسان... إن السجانين يفعلون كل شيء مزعج ولا أخلاقي ليقتلوا حب الحياة في قلوبنا،،، المستهدف هو الحب وذوقك الجمالي والإنساني. .. إن مسيرة النضال هي ذاتها مسيرة المعرفة، فهي مسيرة باردة يعتريها الشعور بالوحدة والخوف من المجهول ... في حالة السجن كما في حالة الحصار، قمة النضال هو أن تبقى قادرًا على السؤال، وأن تكون مستعدًا حتى للنوم في فراشك اللعين داخل المعتقل.

إنه ليس بوسعنا انتظار شخص آخر ليقوم بتصحيح كل شيء، نحن لا نحتاج أشياءً عظيمة تمكننا من صنع التغيير، نحن نحتاج أن ندرك عظمة ما هو ساكنٌ فينا، وأهمية ما هو محيطٌ بنا قبل أن نسعى لشيء جديد، دعونا نتذكر ما نحن قادرون على فعله؛ كل الذي بنيناه بالدم والأحلام؛ كل عجلةٍ لاتزال تدور، ليس لدينا الكثير من الثروة والسلطة، لكننا اذا عملنا كمجموعة، لن يمكن إيقافنا... نقضي الكثير من وقتنا وطاقتنا لتنظيم قوتنا للمطالبة بالتغيير من أنظمة ظالما لم توضع من أجلنا، بدلًا من محاولة تعديل وتطوير طرق المقاومة التي لدينا، لذلك دعونا نستخدم بعضًا من قوتنا الجماعية لإيجاد الحياة وإحضارها إلينا، طرقًا جديدةً يمكننا تطبيقها، ولعل المقاومة هي انتصاراتنا الصغيرة للحفاظ على حقنا «الشعوري» في الحياة، فلن يعد أي شيء مخيفًا إن فعلناه ... !

هكذا حلقنا في فضاء الكتابة مع المعتقل الكاتب الأديب "وليد دقة" الذي لا يزال يقاوم جدران السجون والسجانين الصهاينة منذ العام **1986** و الذي ترفض سلطات الاحتلال الصهيونية الإفراج عنه بعمليات تبادل الأسرى المتكررة التي جرت بعد اعتقاله، كما ورفضت أي حديث عنه وعن معتقلي الداخل المحتل من قبل المفاوض الفلسطيني وبالتالي تجاوزته افراجات العملية السلمية، كما ورفض الاحتلال تحديد حكم المؤبد له وأبقته محكوما مدى الحياة مما يعني أن حكمه هو **99** سنة ويوماً واحدا، بادعاء أنه يشكل خطراً على أمن الكيان الصهيوني ,,, أي قانون هذا وأي قضاء وأي عنصرية تلك التي تحكم على تلك العقلية الأدبية الفذة بتلك الأحكام الظالمة التي لا توجد الا في القواميس الصهيونية التلمودية العنصرية.

اننا نتمنى كما يتمنى المعتقل الأديب " وليد دقة " ان يتوقف الزمن وان يتحرر المعتقلين ويخرجوا الى النور ليقضوا بقية حياتهم بين أهلهم وشعبهم وأرضهم التي لا زالت محتلة .. ان الأديب الفذ المعتقل " وليد دقة" لا يشعر بالزمن لأن الزمن كقيمة رياضية يُساوي المسافة منقسمة على السرعة. ولكن في المعتقلات الصهيونية كيف يُفسر أو يُقاس الزمن؟؟

هل يُقاس بعدد شعرات الرأس واللحية التي تحوّل لونها من الأسود إلى الأبيض، أم بتلك التجاعيد «الأخاديد» التي حُفرت في الوجه وحول العينين؟ ان كل تجعيده في كل وجع لمعتقل فلسطيني تحمل قصة وتاريخ لن يفهمه الا من عاش تلك التجربة .. قد لا تستوعبوا معنى ووجع أن يكون الإنسان محبوساً في «صندوق» من الإسمنت منذ عقود، وكيف بعد هذه السنين الطويلة يظل القلب قادراً على أن يخفق بحب ودهشة لمجرد رؤية نجم او شمس او قمر؟ لا اعرف كيف اختم مقالي؟؟؟ فكل الكلمات عاجزة عن وصف معاناة معتقل فلسطيني من قبل اتفاق أوسلو

معتقل استثنائي كاتب وأديب نستلهم منه معاني الحرية والعزة والكبرياء وهو في أعماق السجن وتتسرب كلماته للنور كالشمس .. وتتحول أعماله الى مسرحيات تقلب كيان الاحتلال لأنه صاحب قضية عادلة وصاحب حق ازلي .. حق أقوى من هذا الكيان الصهيوني الهش الذي سيندثر حتما وسيبقى الخلود للتاريخ الفلسطيني وأدب السجون من الأبطال المعتقلين والشهداء الأكرم منا جميعا...

وليد دقة في الحرية وفي السجن

■■ بقلم : الدكتور باسل غطاس
(النائب السابق عن التجمع الوطني الديمقراطي) أسير محرر

التقيته أول مرة بعد أسابيع قليلة من انتخابي لعضوية البرلمان الإسرائيلي في آذار **2013**. كنت أنتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر حيث لأن من الميزات القليلة لأن تكون عضوا في البرلمان هو الحق في زيارة السجناء بعد إجراء الترتيبات اللازمة. كان في سجن هداريم وفي نفس اليوم زرته وزرت معه مروان برغوثي وكريم يونس. كان هذا أول لقاء مباشر بيننا مع أنّنا كنّا نتابع كل أخبار وكتابات بعض. بعد دقائق قليلة كنا نتحدث بانفتاح وصراحة وانسجام كامل وكأننا نعرف بعض عن قرب لسنوات عديدة. أذكر جيدا أنه في طريق العودة لمع خاطر ببالي لم يغادرني منذ تلك الساعة وحتى الآن بالرغم من التقلبات التي مررنا بها والتي أودت بي لألتقيه لاحقًا داخل السجن أسيرا سياسيا مثله. كنت قبل سنوات قليلة قد فجعت بفقدان أعز صديق على نفسي ورفيق دربي وتوأم روحي وفكري هو المحامي والشخصية الوطنية المرحوم رياض الأنيس (أبو عمار) وراودني ذلك الإحساس اليقيني الذي يستولي على الانسان ويتحول إلى قناعة راسخة بدون تفسير، بأنني قد اكتسبت للتو صديقا ورفيقا سيحل عندي بنفس المنزلة وستكون علاقة راسخة مثلما كانت علاقتي مع رياض تمزج بين القناعات والقيم الوطنية والإنسانية والأخلاقية العالية وبين الأفكار المتنورة والمنفتحة. زرته عدة مرات في السجن وخلال سنوات أربع عندما كان يحظى بإمكانية الحديث تلفونيا كان يتصل ونتحدث لساعات طوال سواء في القضايا السياسية العامة أو قضايا الأسرى وحقوقهم وكان يعرف جيدا أن يستغل وجودي في الكنيست لإثارة ولمتابعة المواضيع ذات الشأن وكان كذلك ينقل لي قضايا شخصية للمتابعة لأسرى معينين وكذلك لأفراد من أسرهم بحاجة لمساعدة في الخارج. في إحدى هذه المحادثات اتصل وليد وكان معي في السيارة بعض الرفاق منهم عوض عبد الفتاح وعزالدين بدران ومستشاري المحاميان خالد تيتي وطارق خطيب، وقد وضعت وليد على مكبر الصوت لكي يسمعه ويتحدث معه الجميع وقبل أن أعرفه على من معي بادر يتحدث بصوته الأجش من أثر التدخين قائلا: أبا سهيلة بالأمس كان يوما تاريخيا حاول أن تتكهن لماذا، وكان قبل يوم قد جرى انتخاب ترامب رئيسا للولايات المتحدة، بادر وليد قبل أن يخطر ببالي الموضوع قائلا لا تفكر أن انتخاب ترامب هو الحدث التاريخي وإنما أنني رأيت القمر بدرا في السماء لأول مرة منذ ثلاثين عاما. وفهمت أن هذا الإنجاز والحدث التاريخ أتيح لوليد بسبب نقله إلى سجن النقب وفيه شروط وظروف أفضل من باقي السجون.

لن أدخل هنا في تفاصيل كيف وماذا ولماذا حدث ما حدث في موضوع استغلالي للحصانة البرلمانية لإدخال الهواتف الذكية إلى داخل السجن فسيأتي اليوم الذي أكشف فيه ذلك (عسى أن يكون ذلك بعد تحرر وليد من أسره الطويل والظالم) ولكن حرمان الأسرى من التواصل هاتفيا مع أسرهم هو انتهاك للقانون الدولي الإنساني وكذلك لأبسط القيم الإنسانية وهو ما يضاعف من شدة وقساوة عقوبة السجن المفروضة على الأسير. في الأشهر الأخيرة قبل ذلك كان وليد يعاني الأمرين من توقف والدته عن زيارته بسبب المرض وهي التي كانت مصدرا لقوته وصموده وعامودا أساسيا تستند إليه حياته وعلمت علم اليقين كم يستطيع تلفون ذكي واحد أن يجلب من فرح وسعادة واطمئنان لعشرات من الأسرى السياسيين في القسم.

مرت ثمانية أشهر منذ أن فارقت وليد في سجن النقب وبعد اللحظات الأولى لاكتشاف موضوع الهواتف التي حاولت إدخالها للسجن يوم الأحد **2016\12\18** وحتى لقائي به مجددا في قسم رقم أربعة في سجن الجلبوع في **2017\7\27** في هذه الفترة انقلبت حياتي رأسا على عقب حيث تعرضت للاعتقال والحبس المنزلي وحملة تحريض شعواء ومحاكمة ميدانية من قبل المؤسسة الإسرائيلية وخاصة ماكينتها الإعلامية واستقلت من البرلمان وبعد أشهر مضنية من التحقيق والمفاوضات حُكم علي بالسجن الفعلي لمدة عامين وفي هذه الفترة تعرض وليد لإجراءات عقابية صارمة من قبل جهاز مديرية السجون واجه فيها العزل الانفرادي لأشهر في الزنازين وبعدها حملة نقل مكثفة بين السجون، وهي وسيلة تنكيل وعقاب شديد خاصة وهو يعاني من مرض صعب يضطره للعلاج في المستشفى مرة في الشهر على الأقل. وها نحن نلتقي مجددا أسيرين سياسيين في نفس ظروف السجن القاسية التي يواجهها الأسرى الفلسطينيون. كان لقاء صعبا يختزن الكثير من المشاعر ويعج بالمفارقات الرمزية والتي جعلت وليد يعاني من الشعور بالذنب وبأنه يتحمل المسؤولية عما حدث، دفعته يفكر ليل نهار في تهوين وتسهيل حياتي داخل السجن. في البداية جاء من قسمه رقم **5** في سجن الجلبوع لزيارتي وقضينا عدة أيام مع بعض ثم بعد أسابيع قليلة انتقل لقسمنا وعشنا سوية في نفس القسم لثلاثة أشهر كاملة، كنا نكتب ونقرأ الواحد للآخر ماذا كتب، وفي هذه الفترة كتب قصته للفتيان "حكاية سر الزيت". واختارت مديرية السجون بإجراء تعسفي أن تنقلنا سوية إلى سجن رامون في أقصى الجنوب في صحراء النقب، وهكذا تقاسمت معه تجربة أول بوسطة معه بما فيها العزل في خلية العزل طيلة الطريق التي استمرت ثلاثين ساعة بما فيها الانتظار في الزنازين والأقفاص وكذلك النوم في المعبر. كانت أكثر اللحظات المشحونة في رحلة العذاب هذه عندما مرت البوسطة في شارع رقم **6** بموازاة بلدة وليد، باقة الغربية، وقفنا ونحن مقيدين باليدين والرجلين ومن خلال الطاقة الصغيرة في خلية العزل شرحت لوليد بعض معالم بلده التي لم يراها منذ دخل السجن قبل اثنين وثلاثين عاما. في سجن رامون فرّقوا بيننا ولم نلتق بعدها، نحن على موعد للقاء آخر فيه طعم الحرية المشتهاة.

الأسير وليد دقة.. قاهر ظلام السجن والسجّان

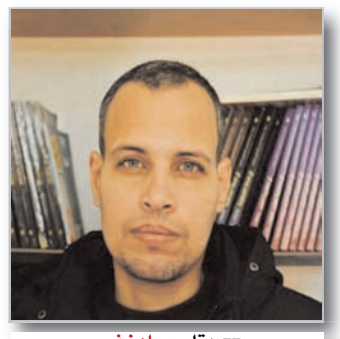

■■ بقلم: وسام زغبر

34 عاماً لم تكن رقماً عشرياً في حياة الأسير وليد دقة بل هي فصول من المعاناة والقهر والحرمان والألم، لم تنل من عزيمته، ولم تفت في عضده، ولم يتراجع قيد أنملة أمام سجانيه، متحدياً جدران السجن والسجان معاً، حاملاً قضية شعب وتاريخ ثورة وسيمفونية صمود الأسرى.

حيث اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي الأسير وليد دقة (59) عاماً ابن بلدة باقة الغربية في منطقة المثلث بأراضي الـ48 عام 1986، وحكمت عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة بعد إدانته ورفاقه إبراهيم ورشدي أبو مخ وإبراهيم بيادسة بالعضوية في خلية نفذت عملية خطف وقتل الجندي الإسرائيلي موشي تمام في العام 1984. لم يكتف الاحتلال بسجن الفلسطيني وليد دقة والحكم عليه بالمؤبد مدى الحياة قبل أن يُحدد لاحقاً بـ(37) عاماً وأضيف لحكمه عامين في العام 2018 أمضى منها (34) عاماً، بل تعرض للعزل الانفرادي في أزمة النائب العربي في الكنيست الإسرائيلي باسل غطاس الذي اتهمه الاحتلال بتهريب أجهزة هواتف خلوية ورسائل مشفرة للأسيرين وليد دقة وباسل البزرة. ويُعد الأسير دقة أحد عمداء الحركة الوطنية الأسيرة ومن الأسرى الـ(30) من أراضي الـ48 الذين أطلق عليهم «أسرى ما قبل أوسلو» وكان من المفترض الإفراج عن الدفعة الأخيرة في آذار (مارس) 2014 بموجب تفاهمات بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل برعاية وزير الخارجية الأميركي جون كيري، لكن رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، تراجع قبل أيام من موعد الإفراج عن الأسرى وخرق التفاهمات، ليبقي وليد ورفاقه في السجن.

فلم يكن العزل الانفرادي الذي تعرض له الأسير وليد دقة الأول ولن يكن الأخير في عقيدة دولة الاحتلال، فكما هو معروف أن عزل الأسرى يبدأ منذ لحظة نقلهم للسجون الإسرائيلية لقطع صلاتهم مع عائلاتهم ومجتمعهم في انتهاك فاضح للمادة (76) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، والتي منعت بشكل واضح «النقل الفردي أو الجماعي بالإضافة إلى الترحيل للأفراد من الأراضي المحتلة إلى أراضي القوة المحتلة».

وتلجأ سلطات السجون الإسرائيلية للعزل الانفرادي في زنزانة إما لأسباب أمنية أو نفسية أو كسياسة عقاب على مخالفة «انضباطية» داخل السجن دون أن تقدم لهم العلاج المناسب وخاصة الذين يقضون فترات طويلة في العزل. ويخول فرض هذه العقوبة لكل من مدير مصلحة السجون أو مدير السجن لمدة لا تتجاوز 14 يوماً غير متواصلة على أن تقسم لقسمين 7+7. كما يخول القانون لمحاكم الاحتلال بإصدار قرار يقضي بحجز المعتقل في العزل لـ(6) أشهر في غرفة لوحده و(12) شهراً في غرفة مع معتقل آخر، وتخول المحكمة بتمديد عزل المعتقل لفترات إضافية ولمدد لا نهائية.

ونعود لما تعرض له الأسير وليد دقة من عزل انفرادي مرات عديدة، نستذكر منها ما جرى معه في عام 2018 في قضية النائب العربي باسل غطاس، وفي نهاية العام 2019 تعرض لعزل انفرادي لـ(6) أشهر، بعد نجاحه بتهريب نطفة إلى زوجته في الخارج، والتي أنجبت طفلة مؤخراً، أسمتها «ميلاد» وحينها تم نقله في شباط (فبراير) 2020 إلى عزل سجن جلبوع.

فماذا يعني أن يقترن الأسير بزوجته ويعقد قرانه داخل سجنه ويُهرّب نطفة للخارج وهو محكوم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة، إنها تجربة فريدة من نوعها رسمها الأسير وليد دقة عندما ارتبط بالصحفية الفلسطينية «سناء سلامة» عام 1999 داخل السجن بعد مرات عديدة سمحت بعدها إدارة السجون بذلك، ورغم مطالباته المتكررة بإنجاب الأطفال منذ العام 2004 وحتى العام 2009 والرفض المتواصل من سلطات السجون تحت ذريعة التصنيف الأمني، وأن لقاءً بزوجته عن قرب يشكل ضرراً بأمن إسرائيل.

لم يقف الأسير وليد دقة عند حد الزواج والإنجاب بل تميز بتحديه لإرادة الاحتلال رغم أنه مكبل في سجنه أمام عدو لا يشعر بالرحمة كون وليد من الأسرى من كبار السن، ويعاني أمراضاً صحية ويماطل الاحتلال في إجراء الفحوصات اللازمة له. وأمام كل التحديات لم تفت بعضده يوماً بل واصل دراسته الجامعية لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، وقاد وشارك في الكثير من المعارك النضالية التي خاضتها الحركة الأسيرة دفاعاً عن مكتسباتها، وكتب نصوصاً في السياسة والثقافة والأدب ومنها «صهر الوعي: أو في إعادة تعريف التعذيب» صدرت عام 2010.

كما ارتبط اسم وليد دقة بمسرحية «الزمن المتوازي»، التي تستند إلى نصّ كتبه عن تجربته في الأسر، وقد تم تمثيلها على مسرح الميدان في حيفا. ويقول وليد في إحدى رسائله من داخل السجن، إن «مسيرة النضال هي ذاتها مسيرة المعرفة، فهي مسيرة باردة يعتريها الشعور بالوحدة والخوف من المجهول. في حالة السجن كما في حالة الحصار، قمة النضال هو أن تبقى قادرًا على السؤال، وأن تكون مستعدًا حتى للنوم في فراش أسرك». يشرح دقة في رسالة له حرب الاحتلال على الأسرى، حتى بعد إصدار أحكام بحقّهم، يقول فيها «استخدمت إدارة السجون للتشويش على وعي وثقافة الأسرى، منع إدخال الصحف العربية بما فيها الصحف الصادرة في الداخل 48، وخصوصًا الصحف الحزبية والسياسية مثل فصل المقال، والإتحاد، وصوت الحق، باستثناء صحيفة القدس التي تصل الأسرى بعد صدورها بأسابيع».

فالاحتلال يتفنن في التنغيص على الأسرى تارة بقرصنة رواتبهم من أموال المقاصة والتي يتلقونها من السلطة الفلسطينية، وتارة أخرى بتشريعات وقوانين تلاحقهم والتي كان آخرها مشروع قانون بادر إليه عضو الكنيست الإسرائيلي آفي ديختر وقع عليه 18 عضواً، والذي بموجبه سيكون لوزير داخلية الاحتلال سلطة حصرية لسحب جنسية أي مواطن فلسطين من أراضي الـ48 والقدس نفذ عمليات ضد دولة الاحتلال ويحصل على راتب من السلطة الفلسطينية. كما ينص على «إبعاد أي أسير يحمل الجنسية الإسرائيلية أو الإقامة في حال إطلاق سراحه من إسرائيل لأراضي السلطة الفلسطينية».

وفي إحدى رسائله وصف أساليب التعذيب والقمع في سجون الاحتلال، قائلاً، «لا يشبه القمع والتعذيب في السجون الإسرائيلية حالات القمع والتعذيب التي تصفها أدبيات السجون في العالم. ليس هناك حرمان فعلي من الطعام أو الدواء، ولن تجدوا من هم محرومون من الشمس ومدفونون تحت الأرض. لا يكبل الأسرى كما في الروايات بسلاسل مشدودة لكتل حديدية طوال النهار. فلم يعد الجسد الأسير في عصر ما بعد الحداثة هو المستهدف مباشرة، وإنما المستهدف هو الروح والعقل». وليد دقة كونه أحد عمداء الحركة الأسيرة لم يغب ذكر اسمه عن نشرات الأخبار طويلاً وخصوصاً بعد قضية النائب غطاس، وبعد تهريبه نطفة للخارج ليضاف لحكمه السابق عامين جديدين، ما يعني تأجيل الإفراج عنه حتى عام 2022، ليلتقي بوالدته التي طال انتظارها. للأسرى مكانة سامية في ضمير الشعب الفلسطيني وتضحياته، ويحملون رسالة تضحية ونضال عبروا عنها في وثيقة الوفاق الوطني «وثيقة الأسرى» ويواصلون مسيرتهم في قهر السجن والسجان، داعين قوى الشعب للوحدة والتلاحم الوطني، لأنهم يعون جيداً أن الانقسام والتجزئة في النضال والجغرافيا قد غيّب وأضر بمسيرة النضال ضد الاحتلال، وفتح شهية التطبيع والتدخلات في الشأن الفلسطيني، وأضعف من معنويات الأسرى في مواجهة سجانيهم.

عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

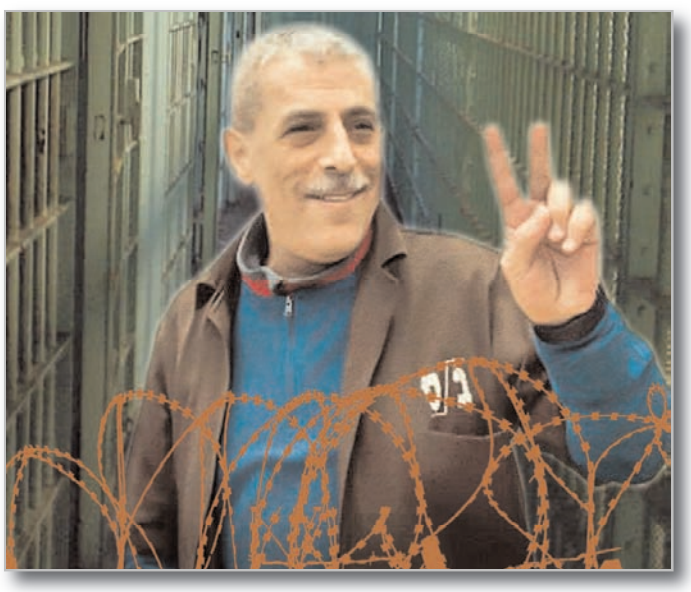

وليد دقّة: الشّطر الآخر للحريّة في الزمن الموازي

بقلم : فهيمة غنايم

حين نسبُر أغوار الحريّة بطريقةٍ مغايرةٍ، فإنّنا نقع في التباسِ السّؤال المُغاير تمامًا عن كلاسيكيّة الطرح، خروجًا عن اعتيادنا السؤالَ: هل الانسان حرّ أم لا؟

ليتجاوز برغسون ذلك السّؤال بما ورد في مقدّمة كتابه – محاولة في المعطيات المباشرة للشعور: "لقد اخترنا من بين المشكلات تلك المشتركة بين الميتافيزيقيا وعلم النفس، إنها مشكلة الحرية، حيث نحاول تبيان أنّ أيّ حوار بين الختمين وخصومهم، هو نتيجة التباس بين الديمومة والامتداد، بين التعاقب والتزامن، بين الكم والكيف". ولنكون في سياق المعنى، لزامًا تحرير النفس من أوقات الظلمة، والتفكيك الزمني ضروري لفهم تناقضاتنا، فكل زمان حقيقي هو في جوهره المتجرد، وإنّ حقيقة الفعل في تجريده من سطوة الزمن تكمن بأن نعيش وفقا لإيقاعنا الذاتي، مستعيدين جوهرنا المتحلّل من أيّة قيودٍ، يحكمها المكان المحاصر في فضاء عالم لا يراوح زمانه، ليبقى رهينَ جدرانِهِ الأسيرةِ أمام طغيان التوق إلى الحرية. لطالما غامر وليد دقة بتوجّهه الفطري ليواجه الجهل والضّلال، وصولًا الى الامتلاء في عزلته الممتلئة، ولم يُحل ضجيج العزلة عن استشعار تلك النشوة المتولدة بين جدران النفس التوّاقة للتفرد والانعتاق من المكان إلى اللا زمان، لتخلق لنفسها مصطلح الزمن الموازي في السيرة الأدبيّة والأدبيّة.

إذ يؤكد على أنّ " السجن لا يحتمل منطقة وسطى، والمساحة بين السجن والحرية وإن بدت حقيقة، فإنها تتسع لفراغ الدنيا كلها" فيصول وليد ويجول سرمديّة العالم، يحلق على أجنحةٍ عنقاءَ، ليجد أن العالم قد كبله المكان مهما اتسع، في قياسه الماديّ خلافًا لما يستشعره في تلك المساحة المربعة المسكونة بالجدران، وسقفٍ يتيم يتوقُ الى أن ينعتِقَ منْ أسيرٍ باتَ أكبَرَ منْ أنْ تحصُرهُ جدران، أو تحدُّ من انطلاقه سقوف. فها هو وزوجته سناء، يمارسان عناق الأصابع تفصلهما قضبان السجن الباردة، فيحيلانها إلى قضبان ملتهبة بدرجة حرارة قلبيهما التوّاقان لأن تتلاشى تلك المسافة الفاصلة، وقد تعانقت أقدارهما في عالمين متوازيين لا يلتقيان إلا بين عقارب الساعة، توشك أن تنقبض بفكيها على عالمهما المكابر، عالمهما الذي تولد بالإصرار، يغزلان من أيامهما ملامح "ميلادٍ"1 جديدٍ من أجل الحق وكرامة الإنسان. حلمٌ بات حقيقة، لن يغتاله المكان، معانقا أركان الزمان، لتأتي ثمرة الجنة كملاك يحمل أجمل ملامح الحياة وسط ظلمة القهر، تجسد ملمحًا ملائكيًا سجّل تاريخا جديدا لـ "ميلاد" وليد. وفي إحالةٍ الى تشابك الزمان بالمكان، نتورط في الخط الفاصل بينهما في قول بياجيه: "إن الزمان مكان متحرك والمكان زمان ثابت" وبهذا تحول وليد بعلاقته المكانية إلى علاقة الجزء بالكل، فطغى فيه الجزء على الكل ليعلن تسيده كل أجزاء المكان، ليحرر المفهوم الحسي لديه ويجرده من طغيان المادة، فكان أن حقق مفهوم الزمان الذي تفوق على المكان، ليوجز ما فصّله إيمانويل كانط في العلاقة بين الزمكانية، بأن المكان هو شكل تجربتنا الخارجية، أما الزمان فهو شكلٍ تجربتنا الداخلية، " مكون من آناتٍ يرفع كلٌّ منها الآخر في تغاير مستمر"2. ليسرد لنا حكاية "لم تُكتب لها نهايةٌ بعد، فحين يتحول وطن بكامله سجنا، ويكتفي الناس بالمشاهدة، نخشى أن نصبح فرجةً وصندوق عجب يكرر نفسه، ويغدو المشاهدون زنازين متنقلة حتى لو اعتقدوا بأنهم أحرارا، فحذارِ"3. تقاطعت حكاية كاتبة هذه السطور مع كونها ابنة مدينة باقة الغربية – مسقط رأس وليد – ونتاجه الفكري، يوم وجّهت لها عائلته طلب إلقاء كلمة في حفل إشهار روايته حكاية سرّ الزيت، وما جابهته من تحريض إعلامي وسياسي في الإعلام الصهيونيّ، إذ تم تعطيل كل تنظيم لإقامة أمسية الاشهار في مؤسسات باقة الغربية، يوم منعت سلطات الاستعمار عقد الفعالية لمرات متكررة بمبررات واهية، من خلال تهديد منظميها والقائمين عليها والمشاركين بفعالياتها، ما حداهم إلى عقد الأمسية في بيت العائلة، بيت أم وليد، والتي لا يعرف عمرها الحقيقي، لأنه وفق قوله: " لها عمران، عمرها الزماني الذي لا أعرفه، وعمرها الإعتقالي، أو قل عمرها في الزمن الموازي هو تسعة عشر عاما". فوحدات الزمن كما يصورها لنا في كتاباته ورسائله تختلف عن زمننا خارج الأسر، والدقائق ليست هي الدقائق، والساعات ليست هي الساعات وإن تشابهت الأسماء والأرقام، إلا حين يلتقي الزمنان عند التقاء الأصابع عبر شباك الزيارة، فزمن وليد توقف عند ذلك اليوم، فأصبح من عمر الثورة، في تاريخ ماضٍ مستمرٍ لا ينتهي، يخاطبنا منه حاضرا حتّى لا يصبح مستقبلنا، كما أبرق في رسالته في يومه الأول من عامه العشرين في الأسر. هكذا صقل وليد أغزر معاني فلسفة الحرية، عبر إبداعاته الاستثنائية لذاكرة اختمرت وتعتقت خلف القضبان، أنتجت معها أدبا مقاوما لا يقاوَم، يرتشفه المتلهف لنهم معرفة ما يكابده الأسرى بثمالة المعنى، وعمق المضمون، لنقف أمام هذا النسج الصارخ الذي يتحدى السجان في عقر سجنه، ضاربًا بالحائط كل القيود والأغلال متحديًا الزمان والمكان، مجاهرا بعنفوانه وكبريائه المخلقَيْن بين الورق، وعلى صناديق الكتابة، يجتهد ليحرّر جيلاً كاملاً من أسرِ المرحلة، يحرّر السياسة من أوثانها، والثقافة من سطحيتها، والجمالية يراها بعين ثالثة لا يمكن رؤيتها مجردة من زمنه الموازي.

ميلاد: اسم طفلة ولدت لسناء وزوجها الأسير وليد دقة عبر تهريب نطفة من داخل جدران السجن لتكسر مع ولادتها قيد السجان، ولدت طفلة جميله كاسمها المشحون بكل معاني الحياة والصمود.

عبد الرحمن بدوي "الزمان الوجودي". حكاية المنسيين في الزمن الموازي، 2011، ص22.

فهيمة كتّاني – غنايم: محاضرة في أكاديميّة القاسمي – باقة الغربيّة، باحثة مهتمّة بالشأن الثقافيّ والسياسيّ الفلسطينيّ والعربيّ. تكتب في الأدب والثقافة والسياسة.

أمير الأسرى.. وليد دقة.. المثقف المشتبك

■■ بقلم: حسن العاصي
باحث وكاتب فلسطيني مقيم في الدنمارك

مرة أخرى العودة إلى الكتابة المؤلمة عن قضية الأسرى الفلسطينيين الأجلاء الشرفاء العظماء في معتقلات الموت الصهيونية. يموت السجان وأحلامهم لا تموت. رغم بشاعة السجن، وفظاعة الزنازين، وقبح السجان وفجوره، يظل الأسرى الفلسطينيون وحدهم ينتظرون بتطلع وترقب قدوم ساعة الحرية لهم وللوطن المغتصب. يزدهون بفخر مثل شعاع الأمل، يعلّمون العالم أجمع أبجديات الثبات على الحق، والصمود بوجه السياسات القميئة لسلطات الاحتلال الصهيونية، وطغيان إدارة السجون الإسرائيلية الوضيعة.

■■ أمير الأسرى

واحداً من أهم مثقفي ومفكري الحركة الاسيرة الفلسطينية. أحد أبرز عمداء الأسرى. سادس أقدم أسير فلسطيني في الزنازين الصهيونية. أحد ثلاثين أسيراً معتقلين منذ ما قبل اتفاقيات أوسلو المذلة. واحداً من أعظم أيقونات الصمود والتحدي. من أشهر القيادات النضالية في السجون الصهيونية. تم اعتقاله 25بتاريخ آذار/ مارس عام 1986. يبلغ من العمر الآن تسعة وخمسون عاماً. أحد اشد حالات الأسرى الفلسطينيين المرضى المصابين بالأمراض المزمنة في سجون الاحتلال. إنه الأسير المثقف المشتبك وليد دقة من باقة الغربية بمنطقة المثلث في فلسطين المحتلة من مواليد الأول من يناير 1961، دخل السجن قبل ستة وثلاثين عاماً. محكوم بالسجن المؤبد مدى الحياة، بعد إدانته ورفاقه إبراهيم ورشدي أبو مخ وإبراهيم بيادسة بالعضوية في خليّة نفذت عملية خطف وقتل الجندي الاسرائيلي موشي تمّام في العام 1984. مثل أي أسير فلسطيني، له حكايته وخصوصيته. وقد عُرف عن الأسير وليد دقة تحديه الشجاع لإرادة السجان الغاصب والمحتل. لم يقف سجنه أمام طموحه العلمي، إذ لم يمنعه الأسر من إكمال دراسته الجامعية، حتى حصوله على لقب ماجستير في العلوم السياسية.

وليد تجسيد حي عن معاناة وعذابات الأسرى عموماً، وخاصة أسرى الداخل الفلسطيني الذين تم اعتقالهم ما قبل اتفاقية أوسلو البغيضة، وترفض سلطات الاحتلال الصهيونية الإفراج عنهم.

أحد أهم مثقفي ومفكري الحركة الأسيرة في فلسطين. لم تنل سنوات الأسر من عضد وليد دقة وعزيمته يوماً. إضافة إلى أنه تمكن من إكمال دراسته الجامعية، برز قائداً مقداماً في جميع نضالات وتحركات وإضرابات كل الأسرى. شخصية قيادية غير انفعالية، يجيد إدارة المعارك مع إدارة السجون الإسرائيلية. موقعه في مقدمة معارك الشرف التي يخوضها الأسرى الفلسطينيين مع السجانين الصهاينة على الدوام. مناضل محنك سياسياً، ورجل مثقف ثقافة عالية، كتب الكثير من المقالات والدراسات في سجنه، تم تهريب معظمها إلى خارج السجون ونشرت، وبعضها تم اعتمادها أيضاً داخل السجون والمعتقلات كمواد تثقيفية للسجناء. تم تحويل نصه الذي كتبه في الأسر بعنوان "الزمن الموازي" إلى مسرحية تم تقديمها على مسرح الميدان في مدينة حيفا المحتلة، مما أربك سلطات الاحتلال، التي أخذت تبحث كيف تم تسريب النص المسرحي خارج السجن، وكيف تتجرأ فرقة مسرحية فلسطينية تحويله إلى عمل مسرحي وتقديمه للجمهور. يصف وليد دقة، في النص المسرحي حالة السجناء ونظام حياتهم في الأسر داخل الزنازين، حيث يشرح هذا الوضع بأنه عبارة عن حياة تسير في زمن موازٍ للزمن الذي يعرفه بقية الناس.

■■ يقول وليد "أكتب حتى أتحرر من السجن على أمل أن أحرره مني"

من بين الكتب التي أصدرها رواية بعنوان "حكاية سر الزيت" تدور أحداثها حول صبي فلسطيني اسمه جود في الثانية عشرة من عمره، وعلاقته مع والده الأسير، وارتباطه بشجرة زيتون عمرها 3000 عام، وكأنه يجسد صمود الأسرى وإرادتهم، ويخاطب المحتل والعالم قائلاً: إننا هنا منذ فجر التاريخ بتاريخ. وكتب أخرى أبرزها "الدولة والدولتين"، "جنين تقاوم" و«صهر الوعي"، ورواية لليافعين، التي حصدت جائزة اتصالات الإمارتية لأدب اليافعين.

■■أغرب وأجمل عقد زواج في التاريخ الفلسطيني

الأسير النبيل وليد دقة تعرف إلى المترجمة والمناضلة الفلسطينية، ابنة مدينة اللدّ سناء سلامة عام 1996 أثناء زياراتها المتكررة للسجون. ثم تزوّجا على الورق في العام 1999، وتم عقد القران في ظروفٍ بالغة التعقيد في سجن عسقلان، حيث شكل زواجهما سابقة في تاريخ الحركة الأسيرة. رفضت السلطات الصهيونيّة منح الزوجين فرصةَ التواصل الطبيعي لإنجاب طفل. واستمر وليد وسناء بنضالهما القانوني من دون أن يفضي إلى أية نتيجة إيجابية، نتيجة العجرفة والظلم الذي تمارسه سلطات الاحتلال، واستهتارها بالحقوق الإنسانية الطبيعية للأسرى وعموم الفلسطينيين. رفضت إدارة السجون الإسرائيلية للزوجين الاجتماع سوياً، وذلك بحجة تشكيل خطر على أمن الدولة. لكن هذا لم يمنع من استمرارهما المحاولات، إلى أن تمكنا من إنجاب طفلتهما "ميلاد" في 3 شباط /فبراير 2020، وذلك عبر "نطفة محررة" تم تهريبها من السجن. ولعل هذه القصة الاستثنائية لزواج الأسير وليد وسناء، وحكاية إنجاب ابنتهما ميلاد، تمثل انتصاراً للحياة والأمل على القهر والقمع، انتصاراً لإرادة وعزيمة الأسير وتمسكه في حقه الإنساني والسياسي والوطني، على تعسف إدارة السجون واستبدادها. تأكيداً على أن لا سنوات الأسر، ولا كافة أساليب القتل والقهر يمكن لها أن تنال من إصرار وعزيمة الأسرى العظماء ومعهم كافة الفلسطينيين بحقوقهم، على الرغم من ألم قضبان الاعتقال.

■■ حالة وليد الصحية

بعد ستة وثلاثين عاماً أمضاها الأسير المثقف العضوي المشتبك وليد دقة في أعتى وأقذر السجون والمعتقلات الإسرائيلية، تدهورت حالته الصحية، وأصيب بعدد من الأمراض نتيجة ظروف اعتقاله، والإهمال الطبي المتعمد بحقه من قبل إدارة السجون الصهيونية. حين تم إجراء فحوصات للأسير دقة في العام 2015، تبيّن أنه يعاني من كثرة كريات الدم الحمراء "بوليتسيتميا"، الأمر الذي يتطلب إجراء عمليات فصد بمعدل مرتين أسبوعياً وبشكلٍ منظم ودائم.

غالباً ما تقوم إدارة السّجون الصهيونية بنقل الأسير الصنديد وليد دقة إلى قسم العزل الانفرادي، لأسباب واهية متعددة في كل مرة. بهدف كسر روحه المعنوية.

وهو الآن يقبع في زنازين العزل الانفرادي رغم ما يعانيه من وضع صحي صعب وخطير. وفي الثاني من فبرايرً الجاري، رفض دقّة تلقي العلاج من طبيب السجن احتجاجًا على عزله دون إعلامه بتفاصيل أو مدة العزل، ولعدم ملائمة العلاج في عيادة السجن.إن سياسة العزل المُمنهجة التي تتبعها مصلحة السجون الإسرائيلية بحق الاسرى الفلسطينيين، لا تمت للإنسانية بصلة، خاصةً بحق الأسرى المرضى وأصحاب الأحكام العالية.

■■ أم القضايا الوطنية

قضية الأسرى الفلسطينيين في معتقلات الاحتلال الصهيوني تشكل أحد أهم محاور الصراع مع سلطات الاحتلال، إضافة إلى كونها قضية إنسانية مشرّفة، وتستحوذ على اهتمام كافة مكونات الشعب الفلسطيني، حيث قضية الأسرى في عمق الوجدان النضالي والإنساني للفلسطينيين، باعتبارها قضية تمثل قيماً كفاحية في التاريخ الفلسطيني. ينفذ العدو الإسرائيلي سياسة القتل البطيء بحق الأسرى الفلسطينيين القابعين في زنازين الاحتلال، من خلال حرمانهم من أبسط حقوقهم في العلاج وتوفير الأدوية، ومنع وصول المعقمات وأدوات التنظيف إليهم في ظل انتشار وباء كورونا، وتقوم إسرائيل بتنفيذ هذه السياسة التي تقرها جهات عليا، بشكل متعمد لممارسة أكبر ضغط ممكن على الأسرى وعلى القيادات الفلسطينية، لتفتيت إرادتهم النضالية. على سبيل الذكر لا الحصر، فإن الأسير سامي أبو دياك فقد حياته داخل السجون الإسرائيلية وهو مكبل الأيدي والأرجل بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان، حيث اشارت جميع التقارير الحقوقية إلى أنه توفي جراء الإهمال الطبي المتعمد. ويمارس الاحتلال الإسرائيلي نفس هذه السياسات القذرة مع باقي السجناء ويحرمهم من العلاج والأدوية، فيما الكثير من الأسرى الفلسطينيين الابطال حياتهم مهددة بالخطر بسبب الأمراض التي يعانون منها. تواصل سلطات الاحتلال محاولتها الفاشية في التنغيص على الأسرى والتهجم على حقوقهم والتضييق عليهم، في كل تفاصيل حياتهم اليومية. في استهتار مرة أخرى بحياة الأسرى الفلسطينيين، ولا مبالاة بالقانون والأعراف الدولية أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني في عام 2019 على إقرار قانون لتجميد تمويل علاج الأسرى الفلسطينيين في سجونها، وأكدت أن علاج الأسرى يجب أن يكون على حسابهم. كما تسعى الحكومة الإسرائيلية لتنفيذ قانون سلب مخصصات عائلات الشهداء والأسرى، عبر خصم المخصصات من عائدات الضرائب التي يتم جبايتها لصالح السلطة الفلسطينية. وبحسب بعض المعلومات فقد تم إغلاق أكثر من 90 حساباً بنكياً لعائلات الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال من قبل أحد البنوك.

■■ حريتهم بوابة لحرية الوطن

الأسير المناضل وليد دقة من أبرز المثقفين والمؤثرين داخل السجون الصهيونية، وسياسة العزل الانفرادي سياسة للقمع والتنكيل بحق الأسرى الفلسطينيين. برز دوره النضالي كأحد كوادر الحركة الأسيرة، ومثقفيها، كما ويقوم بدورٍ هام على صعيد التعليم الأكاديمي للأسرى، ونتيجة لشخصيته القيادية المحببة، ولحضوره الفاعل بين الأسرى، فإنه ظل في دائرة استهداف إدارة السجون وأذرعها الأمنية للنيل منه ومن فكره ومكانته في الحركة الأسيرة، ومن فلسفة التفكير التي يملكها، خاصة في ظل الحراك النضالي المُستمر داخل السجون. وأنتم تقرأون هذه الكلمات ما زال الأسير المثقف العاشق القائد المفكر وليد دقة يقبع في زنزانته بمعتقل "ريمون" الذي يعتبر واحداً من أكبر السجون الصهيونية التي تضم أسرى فلسطينيين، وأكثر المعتقلات وحشية ودموية، حيث يشهد هذا المعتقل صدامات مستمرة بين الأسرى وإدارة السجن. وليد ينتظر أن يتحرر من السجن وهو يعلم أن الحق لا يناله إلا الأحرار، ولا يطالب به إلا الأحرار، ولا يستحقه إلا الأحرار. وأن الطغاة مهما تجبروا واستبدوا لن يتمكنوا من حجب شمس الحرية.

ما لم تقرأوه من قبل عن أديب فلسطيني

■■ بقلم : هديل وائل زقوت - غزة
كاتبة وباحثة اجتماعية

وليد دقة .. معتقل ككل معتقلي فلسطين، له قصته وخصوصيته. وقد اشتهر في تحديه المتميز لإرادة المحتل، وهو في سجنه، حيث يعد من الأسرى القلائل الذين اكتسبوا خبرات واسعة في القضايا التنظيمية والاعتقالية والحياة الأسيرة، ويمتلك قدرات ثقافية عالية وقد واصل تحصيله الأكاديمي في المعتقل ظ.. إذ لم يمنعه الاعتقال من إكمال دراسته الجامعية، حتى حصوله على لقب الماجستير في العلوم السياسية، وهو يجسد معاناة خاصة لمعتقلي الداخل، معتقلي ما قبل أوسلو. ورغم سنوات الاعتقال الطويلة لم تنهار عزيمة الاديب الفلسطيني وليد دقة. فإلى جانب إكمال دراسته الجامعية، يتميز كقائد ملهم في نضالات المعتقلين، وشخص سياسي مثقف كتب الكثير من المقالات والدراسات، التي تم اعتمادها أيضاً داخل السجون والمعتقلات. ومنذ العام الماضي وهو يمثل تحدياً من نوع آخر لحكومة الاحتلال الصهيوني، بعد أن تم تحويل كتابه المؤلف في الأسر، "الزمن الموازي"، إلى مسرحية قدمت على مسرح الميدان في حيفا، وقامت على أثرها قيامة الاحتلال ولم تقعد. ويشرح وليد دقة، في كتابه، حالة السجين ونظام حياته، في الاعتقال، واصفاً هذه الحياة بأنها تسير في زمن موازي للزمن الذي يعرفه بقية الناس ..و قبل 16 سنةً، قال وليد دقة عن مسرحيته اليوم، 25 مارس/ آذار، هو يومي الأول في عامي العشرين في الأسر... واليوم هو يوم ميلاد أحد الرفاق الشباب، الذي يكمل به 20 عاماً. وقد ذكرتني هذه "المناسبة"... بتاريخ اعتقالي... وذكرى ميلاد رفيقي، ذكرتني بأسئلة كثيرة بيني وبين نفسي : كم عمر أبناء إخوتي وأخواتي الذين تركتهم أطفالاً يوم اعتقلت ؟؟؟ أو ولدوا بعد اعتقالي بسنوات ؟؟... كم عمر إخوتي "الأطفال" الذين أصبحوا متزوجين وآباء لأطفال؟؟؟ وكما قال شاعر فلسطين، محمود درويش، "قلت لآخري لا تعتذر إلا لأمك"، اقول في مسرحية الزمن الموازي: أنا لا أعرف عمر أمي الحقيقي... ف.لأمي عمران، عمرها الزماني الذي قد لا أعرفه، وعمرها الاعتقالي ....والآن بعد ثلاثة عقود وأربع سنوات في السجن، بعد 36 سنة كيف اتذكر يوم اعتقالي؟

إن الذاكرة انتقائية.. والنسيان نعمة ،،، وعندما لا تكون قادراً على النسيان، يأتي دور خط الدفاع الثاني، وهو انتقائية الذاكرة، حتى تبقى محافظاً على توازنك... إن الاعتقال صدمة للعقل والجسد، فهو اللحظة التي تنتقل فيها من لحظة أنت بها حُر جسداً، إلى حياة قذرة جسدك مُسيطر عليه من سجانك. يُقيده، يحجزه، يركله... وأنا في هذه اللحظة كان عقلي، وربما روحي، تتأمل هذا الجسد الذي اعتقلوه من خارجه كأنه جسد شخص آخر، أو ربما أيضاً سلّم عقلي بعقلانيّة باردة بأن الجسد الممدَّد في سيارة الجيب مقيداً لم يعد من مسؤوليته، لأنه مهما أجهد خلاياه فلن يكون قادراً على أن يمنع ما قد يلحقونه به من ألم. قد تستغربون بماذا انشغل عقلي في تلك اللحظة: لقد اعتقلت من مكان عملي، حيث كنت قبل دقائق من ذلك قد حضّرت فنجان نسكافيه، واستعددت لتناول رغيفين، أحدهما بالزيت والزعتر، والآخر باللبنة، كانت أمي قد حضّرتهما لي. عندما قضمت من رغيف اللبنة،، قضمة واحدة، وقبل أن أتمكن من بلعها، كنتُ ملقىً على الأرض ومقيداً. في هذه اللحظة، فسّر عقلي المشهد بالكامل. والعقل في لحظة الصدمة بالذات مُخادع، إذ لخّص عقلي المشهد بفقداني رغيف اللبنة الذي بقي مذاقه يُذكرني بوالدتي لا بالاعتقال، الذي إن كان في الزمن العادي لحظة، فإنه في زمن السجون لحظة امتدت حتى الآن 34 عاماً.

إن السجن أبشع أسلوب اخترعته البشرية لمعاقبة الإنسان. ..السجن مكان حقير، لكن الأخطر من السجن كمكان، هو السجن كعقلية أو ثقافة، فهذا العقل الذي بين أكتافنا يمكن بسهولة أن يتحول إلى زنزانة يُسجن صاحبها، رغم أن جسده حر طليق، وما أكثر الزنازين المتحركة في عالمنا العربي. وللتغلب على السجنين، سجن المكان وسجن العقل، لا بد من الوعي والتثقيف، والوعي والتثقيف لا يشملان تاريخ فلسطين والنكبة وقضايا الأمة العربية وهمومها فقط ، فهذه الثقافة إن جاز التعبير أُسميها ثقافة التحرر. لقد تبين لنا أن قيم التحرر من الاحتلال لا تعني بالضرورة أن حاملها يدرك قيم الحرية ويتمثلها، فهناك فرق كبير بين التحرر والحرية: الأولى هي النضال ضد العدو الخارجي، والثانية هي النضال الداخلي الأصعب، لبناء المجتمع والدولة. و للأسف، تحررت دول كثيرة من الاحتلال ، ولكن لم يُؤدي ذلك إلى بناء الدولة بسبب غياب الحريات. لأن المناضلين احيانا لا يدركون معنى الحرية وأهميتها، في بناء المجتمع والدولة لأنه الصعب على الفدائيّ أن يتنازل عن بندقيته إذا لم يدرك أثناء مرحلة التحرر أن الحرية قيمة، وسيكون من السهل عليه في أول نقاش مع شركائه من القوى السياسية في الوطن أن يوجه البندقية نحو الداخل... وللأسف هذا ما حصل

هذا هو وليد دقة وتلك كلماته .... ولد المعتقل الاديب وليد نمر دقّة عام 1962 في مدينة باقة الغربية في الداخل المحتلّ منطقة المثلث شمال فلسطين المحتلة. وفي تاريخ 25 مارس من العام 1986، حكم عليه بالمؤبد حيث أدين بالانتماء لخلية خطفت وقتلت جندي إسرائيلي عام 1984.

حصل "وليد دقة "على درجة الماجستير في العلوم السياسية، و قاد الكثير من المعارك النضالية داخل السجون الصهيونية ،. وفي عام 1999 ارتبط الأسير وليد دقّة بالناشطة السياسية سناء أحمد سلامة واعتبر زواجهما سابقة تاريخية. وبعد انتظار دام 21 عاما رزق المعتقل المناضل وليد دقة بابنته ميلاد التي جاءت إلى العالم 3 فبراير عام 2020 بعد حمل زوجته عن طريق (نطفة مهربة)، وذلك بسبب الإجراءات العقابية التعسفية، التي منعت الزوج من الاتصال المباشر وبقرار قضائي صهيوني يمنع المعتقل الفلسطيني من الانجاب الطبيعي... بحجة أن لقاء زوجته وانجابه للأولاد سيشكل ضررًا على أمن الدولة ... هل رأيتم انحطاط اخلاقي قضائي في العالم بهذا المستوى؟؟

ولا يزال الاديب الفلسطينية وليد دقة يعاني من الشوق والحنين الى امه وزوجته وطفلته وكل اهله واحبابه ... فالشوق والحنين كما يقول وليد هما القاسم المشترك الذي يجمع كل الفلسطينيين، بل أكاد أقول إن الشوق والحنين للأماكن أصبح مكوّناً من مكونات الهوية الفلسطينية. اللاجئ يشتاق لبلده ويريد أن يعود، والمعتقل أيضاً يشتاق لبيته وأهله وحارته. لكننا في الحقيقة نشتاق للذاكرة التي تحملها هذه الأماكن، وعودتنا إليها هي عودة إلى الذاكرة، اننا نريد العودة إلى فلسطين المستقبل فلسطين الحرة المستقلة التي لا بد أن تتطابق فيها الهوية الفلسطينية مع جغرافيا الوطن الكامل.

رغم عتمة السجون فالحرية لن تصبح رمادا...

■■ بقلم : تمارا حداد

تستمر معاناة الأسرى إلى هذه اللحظة سواء النساء والأطفال والرجال وما زالت قضية الأسرى الجرح النازف لفلسطين والقضية العادلة التي سطرت صبراً وصموداً وعنفوانا .

والأسرى القدامى ما زالوا ينتظرون فتح أبواب الحرية ومن بينهم الأسير وليد دقة، من مدينة باقة الغربية في الداخل المحتل، حيث دخل عامه 31 في سجون الإحتلال خلال هذه العام، وهو من ضمن 30 أسيرا أُعتقلوا قبل إتفاق أوسلو وهو من الأسرى الذين قد يصعب خروجه إلا في حالات التفاوض وتحقيق صفقات تبادل لإخراج الأسرى القدامى.

ولكن في الوقت الحالي إبرام صفقات تبادل الأسرى مثل الذي حدثت لصفقة شاليط قد يشوبها نوع من الصعوبة ولا يوجد مرونة لإحراز تقدم في هذا الملف نتيجة التعنت الإسرائيلي حول الملف ووضع شروط لا يقبلها الطرف الآخر.

يشتهر الأسير وليد دقة بعلمه وثقافته الواسعة فله العديد من الكتب والروايات والقصص الواقعية والمقالات التي تحاكي الواقع المؤلم، حيث إستطاع طيلة وجوده داخل السجون الإسرائيلية أن يكتسب العديد من المهارات الإرشادية والتثقيفية في قضايا واسعة سواء القضايا الإنسانية والسياسية والوطنية وقضايا الأسر داخل الإحتلال.

واستطاع إكمال تحصيله العلمي والأكاديمي داخل السجون الإسرائيلية وحصل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية حيث له باع طويل في التحليل السياسي وتقدير المواقف المستقبلية لما يحدث للحالة الفلسطينية والعربية بشكل عام.

حُكم عليه بالسجن المؤبد ولا يسمح الإحتلال بإن يكون إسمه ضمن صفقات تبادل الأسرى وذلك أن الإحتلال يعتبره متجاوزاً للحالة السلمية كونه من الداخل المحتل الفلسطيني، رغم ذلك حاول وليد دقة تخطي ظلمة السجون بنور العلم ومنارة الإستمرار في طلب العلم.

يعاني الأسير وليد دقة بحالة صحية غير جيدة ويعاني من مشكلات صحية ويماطل الإحتلال داخل المعتقلات إعطائه الدواء اللازم لعلاجه، رغم أن المادة 90–91 من اتفاقية جنيف الرابعة أعطت الحق للأسير بأن يعالج بشكل طبيعي دون إهمال وأن يتم تقديم الفحوصات له على أكمل وجه.

قضية الأسرى القدامى داخل السجون الإسرائيلية هي قضية إنسانية بامتياز كونها تمس البيت الفلسطيني، واثرت على الروابط الإجتماعية في الأسرة نتيجة غياب أحد أفراد العائلة، كما أن أبجديات السجن تبقى عالقة فهي في ذهن كل أسير لا تمحوها الأيام والسنين فكل أسير هو قصة ورواية ستتناقلها الأجيال، وتحتاج لآلاف من المجلدات لتحكي قصة الأسير مع السجان والظلم الواقع عليه، وحرمانه من أبسط حقوقه الإنسانية وكرامته المتأصلة فيه، والتي كفلتها الشرائع السماوية والأرضية، حتى في الإتفاقيات المصطنعة التي أقرتها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية كفلت لهذا الأسير حقه في الحرية وكرامته ومعاملته معاملة تليق به وبآدميته. فإتفاقية جنيف الرابعة كفلت للأسرى حقوقهم، ولكن إسرائيل صاحبة الديمقراطية الزائفة التي تغذيها بعنصرية همجية تتغافل عن هذه الحقوق ولا تحسب للأبعاد الإنسانية والقانونية أي حساب، فهي لا تحترم معتقدات الأسير ولا تطبق القوانين والمواثيق التي تنص على حمايته.

فقضية الأسرى شاهدة على ممارسة الاحتلال وانتهاكاته الصارخة بحق الأسرى، هذه القضية التي تحتل مكانة متميزة في الوجدان الفلسطيني، والأولويات الوطنية لما تنطوي من أبعاد إنسانية وقانونية، فإنقاذ الأسرى واجب ديني ووطني وإنساني، والمعتقلات هي منازل البلوى والأسرى هم الجرح النازف لفلسطين وصناع التاريخ والقيد مفخرة لهم طالما مشوا على طريق النضال.

"نصوص سجينة تعانق الحريّة"

■■ بقلم: حسن عبادي - حيفا

أدب السجون هو مصطلح يعنى بالكتابات التي أُلّفت في السجن أو عن السجن، يعنى بالمواطن المقموع، وأبرزهم السجين السياسيّ المثقّف الذي يسعى إلى التغيير. ولهذا ثمّة وصف دقيق للسجن وأهواله، وعنف الجلّادين ووحشيّتهم. وفي ظلّ هذه المعادلة الدمويّة والقاسية بين الجلّاد والضحيّة؛ السلطة والمثقّف السياسيّ، يأتي أدب السجون ليؤكّد على إدانة هذا العصر؛ عصر القمع وانتهاك حقوق الإنسان، فيدين أساليب القهر السياسيّ والقمع الفكريّ التي تحدّ من حرّيّة المواطن وتعتدي على حقوقه وتمنعه من حرّيّة التعبير والرأي.

«إنّ أدب السجون هو شهادة ووثيقة، يكتب ليفضح ويعرّي ويحرّض، هو وليد تجربة حيّة، قد يكون كاتبه هو من عايش تجربة السجن شخصيًّا أو أنّه سمع عنها فعاشها بتجارب الآخرين، وهو دائمًا يتمّ بعد انتهاء التّجربة الموجعة البشعة، وعلى سبيل الاسترجاع، إذ يكتب وينشر خارج الوطن، بعيدًا عن النظام السياسيّ القائم خوفًا من ردّ فعل النظام والرقابة، أو بعد زوال هذا النظام المتّهم بالقمع" هذا ما تقوله الباحثة الفلسطينيّة د. لينا حبيب الشّيخ حشمة، صاحبة كتاب "أدب السّجون في مصر، سورية والعراق، الحرّيّة والرّقيب" وشاركتها بمداخلة، في أمسية حول الكتاب، يوم الاثنين 12.11.2018 في متحف محمود درويش في رام الله. شاركت يوم الخميس 08.11.18 في أمسية ثقافيّة في نادي حيفا الثقافي تناولت الأعمال القصصيّة "عطر الإرادة" للأسير المقدسيّ سائد سلامة ومجموعة "أمّا بعد" للأسير المحرّر كفاح طافش وكان واضحًا أنّ الكتابة عن السجون موجعة، لكنّ الصمت عنها، أكثر وجعًا، فهو أدب ثائر في وجه من يُصادر الحرّيّة. نظّم التجمّع الوطني الديمقراطي في حيفا يوم السبت 10.11.18، أمسية إشهار "حكاية سرّ الزيت" للأسير وليد دقّة (رواية لليافعين، تحوي في طيّاتها 95 صفحة، صادرة عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي في رام الله، رسومات الفنّان فؤاد اليماني وتصميم حنين الخيري). رصد كتاب جمر المحطّات، كتاب تحت الطبع، للصحافي بسام الكعبي، في بعض محطّاته جمرَ ذوي الأسرى في طريقهم لتلمِس جمر الأسرى، وأبرز تقديم الكاتب الذي جاء تحت عنوان (السرد بين الجمر والرماد) جانباً واسعاً من أدب السجون في فلسطين والبلاد العربيّة وأميركا اللاتينيّة. جاء فيه: "الأسير وليد نمر دقة (1961) من بلدة باقة الغربيّة، في الأراضي المحتلّة منذ عام 1948، كشف في نصّه "الزمن الموازي" تفاصيل حياة الأسير التي تسير في زمن موازٍ للزمن الاعتيادي للبشر في ظلّ ثبات المكان ونمط الحياة في المعتقل، وغياب حريّة التكيّف مع الزمن الحقيقي "إلّا حين يلتقي الزمنان عند شبّاك الزيارة". في السجن المتواصل منذ ثلاثة عقود ونيف انشغل وليد بالحركة الأسيرة، وخاض نضالاتها لانتزاع حقّ الأسرى في التعلّم، واهتمّ بدراسته الأكاديميّة وحصل على درجة الماجستير في العلوم السياسيّة.

أصدر سنة 2010 دراسة بعنوان" صهر الوعي" أو إعادة تعريف التعذيب، كشف فيها سياسة الاحتلال باستهداف معنويّات الأسير في السجون عبر إعادة صياغة عقله وفق رؤية إسرائيليّة. وسجّل وليد في وثيقته المحكمة: "باتت السجون الإسرائيليّة اليوم بمثابة مؤسّسات ضخمة لطحن جيل فلسطيني بكامله، وهي أضخم مؤسّسة عرفها التاريخ لإعادة صهر الوعي لجيل من المناضلين."

جاء جود –بطل "رواية" حكاية سرّ الزيت– إلى الدنيا من نطفةٍ هرّبها والده من السجن، وعقابًا له حرموه من زيارته؛ (وهنا تجدر الإشارة أنّ السلطات الإسرائيليّة تمنع الأسرى الفلسطينيّين من "الخلوة الشرعيّة" كما هو متبّع في معظم سجون العالم، بما في ذلك السجناء المدنيّين في السجون الإسرائيليّة)، وحين بلغ الثانية عشر من عمره صار همّه الأول اللقاء بوالده خلف القضبان والتعرّف إليه، رغم المنع الأمني. يحاول جود الوصول إلى والده الأسير فيسخّر الحيوان والنبات لمساعدته (يذكّرني بكليلة ودمنة وغيرها من الحكايا والأساطير) لتنفيذ مهمّته، وتصير زيتونة "إم رومي" التي احتضنته في تجاويفها هي المنقذ.

تتناول الرواية قضية الحرية كموتيف مركزي، ورغم الحواجز والقضبان ينجح جود بالوصول إلى زنزانة والده الأسير داخل السجن، بمساعدة رفاقه من الحيوانات ووصفة إم الرومي وسرّها، فزيتها "السحريّ" الذي يخفي المرض ولا يشفيه بالضرورة يعينه على ذلك. السرّ معرفة، والمعرفة تمنح مالكها قوةً، والقوة خيارات، والقدرة على الاختفاء عن أعين الناس، ويغدو الزيت دواءً إذا اتّخذت القرار الصحيح، ووباء العصر هو فقدان الحرّيّة، على حدّ قوله، وعليك أن تبحث عن الزيت في عقلك وعلمك حتّى تكتشف باطن السرّ كي تعالج باطن الوباء ويصل إلى النتيجة الحتميّة: "وباء العصر هو فقدان الحرية.. ولفقدان الحرّيّة ظاهرٌ وباطنٌ، السجون والحواجز والجدار والأسلاك الشائكة عند الحدود على أنواعها هي ظاهر فقدان الحرّيّة، أما باطن الوباء فهو فقدان العقل، أو ما يسمُّونه بعموميّة الجهل، وهو أخطر السجون وأشدُّها قسوة. ما سأملّكك إيّاه من سرّ الزيت هو الإخفاء الذي سيمكنك فقط من علاج ظاهر وباء العصر، وعليك أن تبحث عن الزيت في عقلك وعلمك حتى تكتشف باطن السرّ كي تعالج باطن الوباء". (ص59)

الطريق إلى الحريّة بموجب الرواية هي البحث بالعلم، الإعداد وضبط الخطوات بسريّة تامّة، ومن ثمّ الثورة والانتفاض لتنجح بالتحرّر من القيود لتحقّق مستقبلًا أفضل: "المستقبل هو أحقّ أسير بالتحرير"، فسرّ الزيت ما إن تمسحه على جسدك حتى تصبح غير مرئي، وباستعماله لذلك الزيت "السحريّ" استطاع زيارة والده الأسير في زنزانته، وهكذا يحقّق أمنيته كما جاء في أوّل الكتاب: "أكتب حتّى أتحرّر من السجن على أمل أن أُحرّرهُ منّي".

استعملَ وليد لغةً بسيطةً وسهلةً نسبيًّا وخاليةً في مجملِها من غريبِ اللفظِ، تحملُ رسالةً واضحةً، لكنّه بالغ في استعمال اللغة المحكيّة بلهجات مختلفة لا تخصّ منطقة باقة، وربّما يعود ذلك إلى "لغة الأسرى المحكيّة" من مناطق مختلفة فاختلطت عليه الأمور بعد السنين الطويلة خلف القضبان؟ ممّا أفقدها مصداقيّتها فباتت مبتذلة ببعض الشيء! واستعماله للهوامش لم يكن موفّقًا ولا لزوم لها، أثقل النصّ وبات عبئًا ثقيلًا عليه.

أخذني تناوله لاقتلاع الزيتونة ونقلها إلى العفولة للزينة للوحة "نقل أشجار الزيتون" للفنّان أحمد كنعان التي عرضها في معرضه "قريب من البيت" وكتبت في حينه: "يتمّ اقتلاعها عنوةً من قرى الضفّة الغربيّة ونقلها إلى بؤر استيطانيّة في الداخل الفلسطينيّ نحو الهويّة الفلسطينيّة من الحيّز والتخلّص منها وفبركة التاريخ وتجييره – قولًا وفعلًا !! فاجتثاث الزيتون ونقله واضح وجليّ للإسراع في تهويد المعالِم من أجل صياغة صورة جديدة وخلق حيّز يهوديّ للمكان من خلال الاقتلاع والتجريف كي لا تبقى تلك الأشجار شاهدًا على تلك الجريمة النكراء وعلى التطهير العرقيّ المقيت لفلسطين".

ملاحظة لا بدّ منها، لفت انتباهي أنّ الكتاب صدر بدعم من ""diakonia؛ وهي منظّمة سويديّة شعارُها: "أناس يغيّرون العالم"، وضمن أهدافها: "من المعلوم لدينا أنّه من الممكن تغيير العالم، ولكنّنا نعرف أيضًا أنّ التغيير لا يدوم إلّا إذا كان نابعًا من الداخل، من صميم الإنسان نفسه. وعندما يدرك كلّ من النساء والرجال ما لهم من حقوق ويعزمون على أن يتّحدوا فيما بينهم، فإنّ جهودهم المشتركة سوف تثمر عن نتائج ملموسة. إنّنا نريد أن نغيّر العالم" وهذا ما قالته إم الرومي لجود!! وهنا تساءلت: هل هناك علاقة بين الجهة المانحة وبين ما كتبه وليد على لسان إم الرومي؟!؟ هل خفّضت سقف مطالب، توقّعات وأحلام جود وأبعدته عن الجمرِ كي لا تحترق أصابعه طواعيّة؟

تحية خالصة وخاصة لوليد ولجميع أسرى وأسيرات الحرية في السجون آملاً لهم إفراجًا قريبا.

رواية سرّ الزّيت والتّفاؤل بالمستقبل

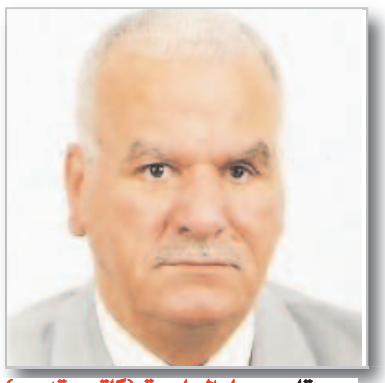

■■ بقلم: جميل السلحوت (كاتب مقدسي)

كتب الأسير وليد دقّة روايته الموجّهة لليافعين "حكاية سرّ الزّيت" في سجن "جلبوع" عام 2017، وأصدرتها عام 2018 "مؤسسة تامر للتّعليم المجتمعي". وتقع الرواية التي رافقتها رسومات الفنات فؤاد اليماني في 96 صفحة من الحجم المتوسّط؟

وليد دقّة: ولد الأسير الفلسطيني وليد دقّة هام 1961 في باقة الغربيّة، في المثلّث الفلسطينيّ، ووقع في الأسر عام 1986، وحكم عليه بالسّجن المؤبّد، ولا يزال وراء الأبواب المغلقة، حصل على ماجستير في العلوم السّياسيّة وله عدّة دراسات وأبحاث. وفي عام 1999 اقترن الأسير وليد دقّة بالصّحفيّة سناء أحمد سلامة، ورزق الأسير وزوجته بابنتهما ميلاد التي جاءت إلى العالم 3 فبراير– شباط– عام 2020 بعد حمل زوجته عن طريق نطفة مهربة.

عودة إلى رواية "حكاية سرّ الزيت": يلاحظ أنّ الكاتب سمّى نصّه" حكاية سرّ الزّيت"، ولم يطلق عليها رواية، كما يلاحظ أنّ التاشر "مؤسّسة تامير للتّعليم المجتمعي"، لم تكتب تصنيفا للنّصّ على الغلاف عندما أصدرته، وهذا يعني أنّنا أمام حكاية موجّهة لليافعين، وأنّ النّصّ ليس رواية، مع التّنويه بأنّ هذا لا ينتقص شيئا من قيمة النّصّ الذي يعتبر النّصّ الأوّل الذي يكتبه أسير ويوجّهه لليافعين.

تحكي الحكاية مغامرةَ الفتى جود، وخطّته التي تتطلّب مساعدةً من أصدقائه: الأرنب السمّور، والعصفور أبو ريشة، وبراط الحمار، وأم رومي شجرة الزيتون، والقط الخنفور، والكلب أبو ناب.

أهداف النّصّ: يجد التّنويه بداية إلى أنّني لم أقرأ النّصّ في كتاب ورقيّ، بل قرأته كما وصلني في البريد الإلكترونيّ، وهذا يعني أنّه يصعب على المتلقّي أن يحيط بجوانب النّصّ المختلفة عندما يكتب عنه، ولن يستطيع الإقتباس ببعض ما جاء في هذا النّصّ، وبالتّالي سأعتمد على الذّاكرة في كتابتي هذه. وقد لجأ الكاتب إلى الخيال في سبيل خدمة نصّه. فماذا يريد قوله؟

وإذا كان بطل الحكاية هو الطّفل جود، الذي هو ثمرة لنطفة من أبيه مهرّبة من وراء البواب المغلقة، ومحروم من زيارته لأبيه، كعقاب من المحتلّ للأسرى الذين هرّبوا نطفا منهم، لينجبوا أطفالا من زوجاتهم دون أن يلتقوهنّ، فإنّ جود هذا تعاون مع طائر وكلب وقط وأرنب وحمار وشجرة زيتو معمّرة، التي زوّدتهم بزيتها الذي يسه لهم بالتّخفي لعبور جدار التّوسّ الإسرائيلي، ليستطيع جود زيارة والـ دون أن تحول موانع الاحتلال الكثيرة د ذلك. وأعتقد أنّ الكاتب في اختيا لشجرة الزّيتون قد استفاد من قصي الشّاعر الكبير محمود درويش "أور الزّيتون" التي يقول فيها:

لو يذكرُ "الزيتون" الزّيتون غارسهُ
لصار الزّيت دمعا
يا حكمة الأجداد
لو من لحمنا نعطيك درعا
لكن سهل الرّيح
لا يعطي عبيد الرّيح زرعا
إنّا سنقلع بالرّموش
الشّوكَ والأحزانَ... قلعا
سنظلّ في "الزيتون" الزّيتون نُحضرَته
وحولَ الأرضِ درعا

يضاف إلى ذلك أنّ شجرة الزّيتون ر للسّلام، كما هي دلالة على حضارة الشّع الفلسطينيّ العريقة، حيث يوجد في فلسط اثنا عشر مليون شجرة زيتون معمّرة، يزيد عمر الواحدة منها على الألف ع وهذه الأشجار يقتلع المحتلون بعضا منه ليزرعوها في مستوطناتهم، في محاولة من لنهب الثّقافة الفلسطينيّة ونسبها إليهم لكنّ شجرة الزّيتون في "حكاية سرّ الزّيـ عرفت أبناءها الذين هم أحفاد م غرسوها، فاحتضنتهم وأخفتهم في سا الضّخم عن عيون المحتلين، ودهنتهم بزي السّحري؛ ليزور جود والده الأسير سجون الاحتلال دون عناء" وهذا هو الزّيت الذي ورد في النّصّ.

فهل استبق الكاتب ميلاد ابنته عندما كت هذا النّصّ أو جاء نصّه تعاطفا مع زملا الأسرى الذين هرّبوا نطفاتهم، وحمل منها زوجاتهم ومنعهم الاحتلال من رؤ فلذات أكبادهم؟ لكن هذا لا يغيّر من قي النّصّ ومن الأهداف التي يرمي إليها.

وهل جاء التّعاون بين الزّيتونة التي تم تراث الآباء والأجداد مع "الابن جود كإشارة إلى مستقبل الأجيال النّاشئة التي تقبل السّكوت على مظالم الاحتلا وستنتصر عليه كما انتصر "جود" ع سياسة منع أبناء النّطف المهرّبة من زيا آبائهم والإلتقاء بهم؟ وهذا التّفاؤل الذ ورد في ثنايا النّصّ جاء مقرونا بالحثّ ع العلم، لأنّ أحدالأسباب الرّئيسة في هزا أمّتنا هو الجهل، ولا تنتصر الشّعوب بالعلم.

اللغة والأسلوب: اعتمد الكاتب في نق على السّرد الحكائيّ الإنسيابيّ أكثر م اعتماده على السّرد الرّوائيّ، وهذا سا على تنمية عنصر التّشويق، ويلاحظ الكاتب أكثر من استعمال اللهج الفلسطينيّة المحكيّة، مع وضع معانيـ باللهجة الفصحى لتسهيل فهم النّصّ ع من لا يستعمل اللهجة المحكيّة.

وليد دقة: قيمة وقامة عالية وبحجم السنديان شموخاً

■■ بقلم : عبد الناصر عوني فروانة

لم يكن السّجن يوما في المفهوم الإسرائيلي أداة لتطبيق العدالة المجرّدة، أو وسيلة للعقاب، أو مكانا لإعادة تأهيل المواطنين وإصلاحهم، واحترام إنسانيّتهم وتوفير احتياجاتهم الخاصّة- كما تطالب المنظّمات الحقوقيّة- وإنّما جعل الاحتلال منه مكانا لقمع الأسرى وردعهم والتّأثير على أفكارهم ومعتقداتهم، ومؤسّسة لإعادة صهر الوعي لجيل من المناضلين. وجعل منه أيضا أداة لقتل الأسرى معنويّا وتصفيتهم جسديّا، وإلحاق الأذى المتعمّد بأوضاعهم الصّحّية وتحويلهم إلى جثث مؤجّلة الدّفن، ممّا جعل من السجن الإسرائيلي -كما يصفه الأسير وليد دقة- نموذجاً تتجلى فيه الحالة الأسوأ في الاحتلال، على مدار التاريخ، لأن أهدافه العقابية والتعذيبية لا حدود مكتوبة لها، فهي تطال الجسد والروح، كما تطال الفرد والمجتمع. وما ذاك إلا لأنها ترى في الفلسطينيين أعداء لها، ويجب التخلص منهم أو على الأقل ردعهم، بمن فيهم أولئك الفلسطينيون ممن تسميهم (مواطنيها) الذين يقطنون داخل "الخط الأخضر"، وهي الأراضي الفلسطينية التي قامت عليها دولة الاحتلال على إثر النكبة في العام **1948**.

هكذا نشأ مصطلح "أسرى الداخل" وهكذا حُفرت أسماء فلسطينية من أرض فلسطينية ـ غيّروا اسمها إلى إسرائيل ـ عميقا في سجل النضال الوطني الفلسطيني وفي سجل الحركة الوطنية الأسيرة. وهكذا صرنا نرى معنا في السجون شبانا غير لاجئين، وولدوا بعد النكبة، ومع ذلك فهم ينتسبون إلى حيفا ويافا واللد والناصرة وعكا والطيرة والمثلث وعارة وعرعرة وباقة الغربية، وأم الفحم... وغيرها من الأسماء المنقوشة عميقا، ومنذ وقت مبكر، في الذاكرة الجمعية الفلسطينية. وهكذا حفظنا أسماء الشهداء منهم عن ظهر قلب، وردّدت الألسن بفخر وعزّة أسماء آخرين، شكّلوا نماذج مشرقة، للحركة الأسيرة عبر كافّة المراحل والأزمنة. وهكذا نُقشت أسماء العشرات منهم ضمن قوائم عمداء الأسرى وجنرالات الصّبر، ممّن أمضوا ربع قرن، بل وأكثر من ثلاثين عاما في السّجون الإسرائيلية. ولئن عانى الأسرى الفلسطينيّون من الضفة وغزة والقدس، في السجون الإسرائيلية، من سوء المعاملة وقسوة ظروف الاحتجاز؛ فلقد عانى أسرى الداخل - الذين يحملون "الجنسية الإسرائيلية - من تمييز سوء معاملة مضاعف؛ وبذا فقد دفع "وليد دقة" ورفاقه من "أسرى الداخل" ثمنا باهظا لهويتهم، جراء هذا الازدواج القسري للجنسية.

ولد الأسير "وليد نمر أسعد دقّة" في الثامن عشر من تموز/يوليو عام **1961**، لأسرة فلسطينية تتكوّن من ستّة أشقّاء وثلاث شقيقات، داخل الأراضي المحتلّة عام **1948**، وتسكن في مدينة "باقة الغربية" في منطقة المثلث شمال فلسطين، وهو واحد من أولئك الفلسطينيين الذين نُطلق عليهم "أسرى الداخل".

تعلّم "وليد" في مدارس المدينة، وأنهى دراسته الثانوية في باقة الغربية، ولّما لم يحالفه التوفيق في إكمال تعليمه والالتحاق بالجامعة، انتقل الى العمل في إحدى محطات تسويق المخروقات، وفي الخامس والعشرين من آذار/مارس **1986** اعتقلته سلطات الاحتلال إثر انتمائه للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانتسابه لخلية اختطفت جنديا إسرائيليا وقتلته، بهدف مبادلته بأسرى فلسطينيين، بالإضافة إلى حيازة أسلحة ومتفجّرات بطريقة غير قانونيّة (حسب التصنيف الإسرائيلي) واتهامه بالقيام بأعمال فدائية داخل الخط الأخضر، ومن ثم أدانته إحدى المحاكم الإسرائيلية بالتهم المذكورة وأصدرت بحقه حكما بالسجن المؤبد، ومن ثم تم تحديدة بـ **37**سنة، ليبدأ مرحلة جديدة من الحياة، ورحلة طويلة داخل السّجن.

اعتقل "وليد" عام **1986** وهو في الخامسة والعشرين من عمره، واليوم قد بلغ من العمر (**59**)عاما، ليكون بذلك قد قضى من السنوات في السجن ما يزيد عن أربعة وثلاثين عاما، وهي تفوق ما أمضاه في قبل الاعتقال الحياة بتسع سنوات وأكثر.!

أربعة وثلاثون سنة، واكثر، أمضاها "وليد" في السجن وما يزال، تعرض خلالها لأبشع صنوف التعذيب، الجسدي والنفسي، ولأشكال كثيرة من القهر والحرمان، وتنقل خلال تلك السنوات الطويلة للعيش بين جدران سجون متعددة، لتزداد معاناته وتتدهور حالته الصحية سوءا. فالسجن وكما يصفه "وليد" في إحدى كتاباته "مكان سيّئ، وهو أحقر اختراع صنعته الإنسانيّة لمعاقبة الإنسان. والسّجن، كمؤسّسة شموليّة، لا يستهدف السّجين بصورة عامة، وإنما الإنسان الفرد، كتفاصيل حياة ومعالم ومميّزات شخصيّة".

وبالرغم ممّا مُورس بحقه، والاجراءات القاسية التي أُتّخذت ضده، والتمييز العنصري الذي تعرض له، إلا أنه واجه كل ذلك بإرادة فولاذية ومواقف بطولية، وحافظ على جوهره كإنسان، ومكانته كمناضل، وعزز من قيمته بين المجموع، وتأثيره في المجتمع الفلسطيني من خلال عشرات الآلاف من الأسرى الذين عايشوه بين الجدران الشاهقة وخلف الأبواب الموصدة، ليبرز دوره النضالي والاعتقالي داخل السجون كأحد أبرز قيادات الحركة الأسيرة، وواحد من أبرز مثقفيها، والمؤثرين فيها.

كما برز "وليد" كشخص سياسي مثقف وواحد من أبرز من كتبوا داخل السجون حول الحالة الفلسطينية، ولعله الأبرز على الإطلاق في وصفه لحال السجون والمعتقلات الإسرائيلية وواقعها بجرأة عالية وموضوعية غير مسبوقة عبر لقاءاته وكتاباته ورسائله المهرّبة من خلف القضبان. فهو يمتاز بقدرة إبداع فنية وأدبية في رسم حياة الأسرى ويومياتهم خلف الشمس.

لم يتوقف نشاطه على القراءة والمطالعة والتعلم، ولم يكتف بدور المثقف وتثقيف الآخرين ونقل التجربة، وإنما تعدى الأمر ذلك، ليشارك إخوانه ورفاقه في تفاصيل الحياة اليومية ولينسج علاقات وطنية صادقة مع الجميع، ويشارك في كافة أشكال المواجهة مع السّجّان بما فيها الإضرابات المفتوحة عن الطعام، ذودا عن كرامة الأسرى ودفاعا عن حقوقهم وتمسكا بإنجازات الحركة الأسيرة ومكتسباتها. ونتيجة لدوره اللاّفت وحضوره المؤثّر وثقافته المتميّزة والكاريزما العالية التي يتمتّع بها، ظل في دائرة الاستهداف الإسرائيلي، لتُقدم إدارة السجون على عزله مرات عديدة في زنزانة انفرادية بهدف كسر إرادته والتأثير السّلبي عليه، والحد من تأثيره الإيجابي على الأسرى، في إطار سياستها الهادفة لصهر الوعي لجيل من المناضلين.

واصل "وليد" تعلمه وزيادة معارفه العلمية، فأنهى دراسته الجامعيّة في السّجن، وحصل على درجة الماجستير في الدّيمقراطية السّياسيّة، من خلال الانتساب عن بعد إلى الجامعة العبريّة المفتوحة، ولكن الوعي والتأثير الفكري -كما يقول وليد- تصنعه أطر أوسع من الجامعة أو المدرسة والأسرة.

لقد كتب الكثير من المقالات، وبعث العديد من الرّسائل، وأجريت معه عشرات اللقاءات الصّحفية، وكلّما قرأت له شيئا كتبه أو قاله، ازددت إعجابا به واحتراما وتقديرا له، وما زلت أحرص على قراءة ما يكتبه وما يصدر عنه، فهو من أحسن القول وأجاد الوصف وأصاب في تحليله، وتمّعنوا هنا أيها السادة بما قاله في إحدى لقاءاته عن الانقسام: "لا أبالغ إن قلت إنه، ورغم أن من يغلّق عليّ باب الزنزانة هو سجّان إسرائيلي، لكن الذي يصنع له مزيدًا من الأقفال هو الانقسام الفلسطيني. تأمّل المسألة جيدًا، فهذه ليست بلاغة لغوية، وإنما هي حقيقة يجب أن نصرخها في وجه من ضلّوا الطريق نحو الحريّة".

«وليد".. اسم تردّد على مسامعي بفخر وعزّة منذ أن اعتقل، وقبل أن أتحوّل أنا الآخر إلى أسير، فحرصت على الدوام على متابعة أخباره، وبين الفينة والأخرى كنت أتواصل مع أسرته، وما زلت أتابع وأقرأ ما يرتبط به من أخبار وكلمات، فهو قيمة عالية وقامة رفيعة بحجم السّنديان شموخا، وكنز من المعلومات القيّمة.

وإن كنت هنا أسجّل تقديري العالي لشخصه - وهذا أقل واجب علينا- فإن الواجب يتطلب كذلك أن أسجّل فخري واعتزازي بوالدته الصامدة، الصابرة، المناضلة، الحاجة فريدة. كما وأسجل اعجابي بزوجته المناضلة والأسيرة المحرّرة "سناء سلامة" التي ارتبطت به عام **1999**، وربطت مصيرها معه، وأنجبت منه "ميلاد" عبر النطف المهرّبة. وهي كانت على يقين بأنها ستنتظر طويلاً. فما أعظم تلك المرأة التي تمتلك من الخصال ما يؤهلها لأن تقف بشموخ بجانب خطيبها الأسير، وتصبر طواعية على بعده، وبقناعة تامة تسانده في محنته وتحمل معه الهموم في مواجهة السجان. ومازالت على العهد باقية.

«وليد" هو واحد من الأسرى القدامى، ويُعتبر سادس أقدم أسير فلسطيني في السجون، وهو واحد من ستة وعشرين أسيرا معتقلين منذ ما قبل اتفاق السلام في أوسلو وصفقة "وفاء الأحرار"، فلا "السلام" نجح في تحقيق حلمهم بالحرية والعيش بسلام بين أهلهم وشعبهم، ولا المقاومة استطاعت كسر قيدهم وفرض شروطها على المحتل. فيما كان من المفترض الافراج عنهم كدفعة رابعة وأخيرة في **30**آذار/مارس**2014** في اطار التفاهمات الفلسطينية-الإسرائيلية برعاية امريكية، إلا ان الاحتلال وكعادته نكث بالوعود وتنصّل من الاتفاقيات وتراجع عن إطلاق سراحهم وأبقاهم رهينة في سجونه ومعتقلاته.

ويبقى "وليد دقة" كما عرفناه وكما هو دائما، اسما لمناضل عنيد وصلب محفور في الذاكرة الفلسطينية، وثائر يحفظ اسمه كل أبناء شعبه عن ظهر قلب. وقائد وطني ينتسب الى "باقة الغربية" وأسير شكّل على الدوام نموذجا للآخرين وقاسما مشتركا فيما بين الجميع، فغدا منارة ومفخرة للكل الفلسطيني. فهو وأسرى الدّاخل عموما جزء أصيل من شعبنا ومن تاريخ عريق سجّلته الحركة الوطنية الأسيرة خلف قضبان سجون الاحتلال.

وسيبقى اسمك يا "وليد" يصدح في الآذان سمفونية العظمة، وستبقى قيمة وقامة عالية وبحجم السنديان شموخا

عن المؤلف

×عبد الناصر فروانة، اسير محرر، ورئيس وحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين وعضو المجلس الوطني الفلسطيني.

المواطن

الحق في الإعلام من الحق في الحياة

www.elmouwatane.com

يومية وطنية مستقلة

الأخيرة

الإثنين 02 نوفمبر 2020 م الموافق لـ 16 ربيع الأول 1442 هـ

رسالة إلى السلطان الأسير عبد الحميد الثاني :

أنا صاحب السجن وليد دقة
الغابة تأكل من موائد الرحمن يا أيها السلطان !

■■ بقلم : لينا أبو بكر

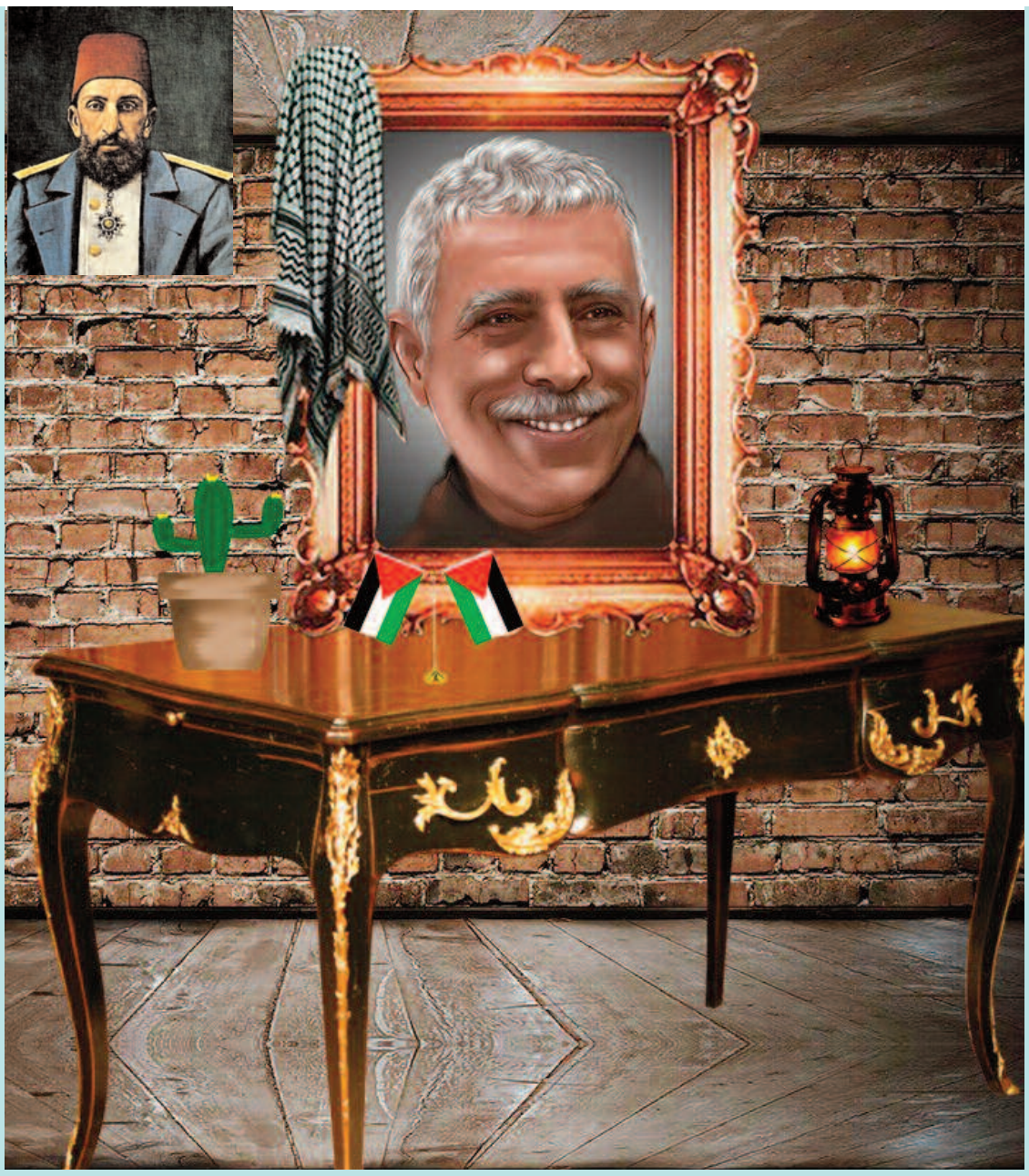

■■ يا أيها السلطان عبد الحميد الثاني ...الخليفة الأسير والحاكم المظلوم ..

أكتب إليك من زنزانتي التي نَصَبَها لي عدُوّي فوقَ أرْضي وفي دِياري ، لأحدثك عما لَقيتَهُ قَبلي ، وَألْتَقي بِهِ مَعَك بَعْدَكَ ، كأنَّ ما يُفَرّقِني عن عَدُوّي هو ما جَمَعَهُ بكَ ، بين صَكَيّ مُلْكِيّة، أَحَدهما يستند إلى وصاية والآخر إلى تَوْصِية ، وبين معركتيْ فَبْرَكة أحداهما تقوم على تزييف الوَعْي والأخْرى على صَهْرِهِ ، فهل أبدأُ من التاريخ أم من الإعلام ؟ من الهزيمة أم من المؤامرة ؟ من الأعداء أم من الخونة ؟ من المجرمين من الضحايا ؟ من المأجورين أم من الأحرار ، من الأنذال أم من الأبطال ؟

أيها الخليفة ، سأبدأ من عقلك أولا ، كي لا أضل الطريق إلى ضميري ..

■■ يا أيها السلطان ...

الحقُ في العادَةِ لا ينتصِرُ ، ليسَ مِنْ ضَعْفٍ يَعْتَريهِ ولا هَوادَة ، إنّما لأنَّ الباطلَ لَما يَسْتَبِدُّ ويستشري ، يصبح النصرُغيرَ كافٍ للحقّ حتى ينتَصِرَ !

■■ أيها السلطان ...

لا يعيبُ الحقَّ عدمُ انتصارِهِ ، لأنَّ الشَّرَفَ المَقْدَسَ للحَقّ هو حَرْبُهُ وليسَ نَصْره . ولذلك كلما انتصرَ الباطلُ تَحَلَّلَ العَيْبُ من عُقْدَةِ العار ، وعَمَّ حَتى غَدا رَخيصًا ومَجانيًا بِلا قيمَةٍ ولا وَزْنٍ .

منذ أن انتهى عهْدُ الأنْبياءِ والمُعجزات ، أصبح الحقُّ كالذّخيرةِ ، التي تَدَّخِرُها للزمن أكثرَ مما تستخدمُها في المِحَن ، لا لِخَلَلٍ في التقدير أو التّفْعيل ، إنّما صوْنًا و كنْزًا ، لأنَّ كلَّ ما هو قَيّمٌ نادِرٌ ، و كلَّ ما هو ثَمينٌ خَبيءٌ وصعبُ المَنال .

■■ أيها السلطان ..

الظالمونَ على قارعَةِ الطُّرقاتِ ، والمظلومون وراء الشمس ... الظلمُ لا يَرْتَبِطُ باحتلال أو استعمار أو كُفّارٍ أو مُرْتَدّين أو لُقَطاء ، إنّما يَرْتَبِطُ بزَمَنِ دَجّال ، الظلمُ فيه ميزان الحكم في دور القَضاء ، و سيدُ الوُلاةِ وكِتابُ الفقهاء ، الظلم نصيرُ الرِّياء، ضمير الزمن الأعمى ، و شيطان الجبناء ..

والمظلومون أيها السلطان ، ليس لهم سوى الحق ، والحق لا وجودَ له إلا في السماء ، فماذا بعد ؟

■■ يا أيها السلطان ...

أنا وأنتَ صُنوان ،عِلْمُنا عِتْقُنا ، و إرادتنا حريتنا ، وَعْيُنا سِلاحُنا اليَتيمُ حين يَنْحَدِرُ وعْيُ الجاهلين من عقلٍ دَخيلٍ أو من كُرَةٍ دِماغِيّةٍ مُستعارة ، حُروبُنا خيارُنا حينَ يَكونُ عدُوُّنا اختبارَنا ، خِصالُ خُصومِنا تَدُلُّ التاريخَ على خِصالِنا ، و خبثُ المُنافقينَ ضدّنا يدل الحضارةَ على ذكاءِ صدْقِنا ... وكلما حاول المزيفون تشويهَنا كلما انتصَرَتْ لنا مَرايانا ، التي تطفئ نور وجوههم وتسقطها فوق جسر الجحيم !

■■ يا أيها السلطان ، أنت ونحن صِنْوان ..

أعداؤنا ليسوا هم عذابنا ، بل نحن عذابهم، يطمئننا ما نخافُ عليْهِ مِنْهُمْ ، و يُجَنّنُهُمْ أنّنا لا نخافهُمْ ، صبرنا حكمتنا ، و صمودنا ثورتنا ، وعزلتنا شَرْنَقَتُنا ، و انقلاب المُنقلبين علينا هو معيارُ اتّزانِنا ، وتنازلاتُنا لَيْسَتْ خَساراتُنا بَلْ تضحياتُنا، أو موازين قوتنا ومَيّزاتُنا ، قيَمُنا تُحَدّدُ قيمتَنا ومَقامنا ،لا نقبل أن يُقَيّمَنا أعداؤُنا .

يا أيها السلطان الشديد والرشيد ، العنيد والجَلْـود ، المُـناوِرُ و المُبـاشِـرُ ، المُحـاذِرُ والمُخاطِرُ ، رحمةُ الرّحيم تَتَجَلى في أَوْجِ سلطانه ، و لا تكون الرحمَةُ ظلمًا إلاّ حينَ تُمْنَحُ للظالمين وهم ضعفاءُ و أَذِلّة ، إنها خطرٌعلى صاحبها حين تُشْفِقُ على منْ يُرَبّيهِمْ ذُلُّهُمْ على ادّخارِ البَطْشِ وتحويلِ الرَّحْمَةِ إلى كَبْش .

■■ يا أيها السلطان ..

ربما لا توهبُ الرحمة استحقاقا ، ولكنها لابد أن تحقق رسالتها عبر استحقاقها ، لكي لا يحولها من ليس جديرا بها إلى إثم لا يليق بجدارة من يوهبها !

ورغم ذاك ، حين لا يرحمُكَ مَنْ رَحَمْتَهُم ، تُنْصِفكَ رَحْمَتُك مَعَهُم ، و إلاّ كيف مات التاريخ ، ومشت في جنازته الأمم ، ودفنته الأزمنة ، وأنتَ عُدْتَ كالقيامة إلى الحياة من جديد ؟

هل هو الكذب الذي يجعل الحقيقة أكثر وضوحا ، أم أن للحقيقة قوةُ الأَبَد ، وامْتِدادُ الْأَمَدِ؟

هل علينا أنْ ننتظِرَ الْحَقيقَةَ ، أمْ نَسْبِق المؤامرة ؟

يقول أحدهم : " ليس عليك أن تخبر الحقيقة لمن لا يستحقها " ، فهل الحقيقة هي سر العظماء الدفين ؟

كيف خبأتَ السّرّ في زَمَنٍ مَكْشوفٍ ؟ و أوْدَعْتَ الحقيقةَ في تاريخٍ مَخْطوف ؟

■■ يا أيها السلطان ..

نحن كنا واقفين على أبواب السماء ، نحرسُ قَلْعَةَ الْغَيْبِ ، حين سرقَ اللصوص مِنّا أنبياءنا ، و صلواتنا ، وكنا نُرَتّبُ الخلود لشهدائنا حين اختطف الغُزاةُ مِنّا مِعْراجهُمْ ، و سُلّمَ الْمُنتهى .....و كُنّا نَشْرَبُ قهوَتَنا على شُرفَةِ الْأَبَدِيّةِ حينَ أَطْفَأَ الخَوَنَةُ نارَنا ، و سَكَبوا دِلالَنا تحتَ أقدامِ اللُّقَطاء ، الذين جاؤوكَ ضُيوفًا ولاجئين ، وانقلبوا غزاة و محتلين !

لستُ مِمّن يُصَدّقون سقْراط في كل ما يقوله ، ولكني قد أوافقه على أن الحياة لا تستحق أن نحياها إن لم نستطع امتحانها ، لذلك لا تغدو الحياة مُرَفّهَةً حين تخلو من الأعداء ، من لا أعداء له في هذا الزمان ، هو إنسان بلا حقيقة ، هامِشِيٌّ و مَغْشوشٌ ، مؤقت و طارئ ، لم يفهم بعد أسرار الكون ، و لم تُفتح أمامه صناديقُ المعرفة ...

من يظنون أن الأعداء الذين يتكاثرون حولَ عَظيم ما ، هُمْ دَلالَةٌ على فَشَلِه في اختبار الصداقةِ ،هم نَماذِجُ سَخيفةٌ و مُسَطّحَةٌ ، فَشِلَتْ في امتحان مادّةِ سُقْراط ؟

حين يحاربك العالم ، ولا يهزمُك ، حتى لو انتصر عليك ، فهذا يعني أنك لا تنتمي لعصرِ السفلة و المارقين ، حين يكون الزمنُ هو عَدُوُّكَ ، فهذا يعني أنكَ أكبر من زمَنِكَ ، ولذلك قد يُقَيّدُكَ زمنُك ، ولكنك تتحرر منه حين تنتهي صلاحيته ، حريتك هي بعثك وهي قيامتك ، وبين الارتداد إلى الزمن والامتداد خارجه ، تتجلى قيمةُ الأعداءِ في رصيد العظماء .

■■ يا أيها السلطان القوي والتقي ...

ما أصعب أن يكون العدلُ خطأً العادلين ، وما أمرَّ أن تكون الرحمة التي يستقوي بها الأقوياء ،هي نقطةُ الضعف التي يَسْتَغِلُّها الضعفاء ....ما أقسى أنْ تُؤَنْسِنَ عَدُوَّكَ ، وهو الذي يَرْبو في أَقْفاص الوحوش و أرحام التماسيح ؟ و ما أخطرَ أَنْ ترى الصَّيادَ في مَكْمَنِ الْفَرائِسِ !

■■ يا أيها السلطان ، الغابةُ تأكُلُ مِنْ مَوائِد الرّحمنِ يا أيها السلطان !

الطامعون أكثر من الجياع ، و التجار واللصوص أكثر من الفقراء ، وحين يصبح الشرفاء قِلّةً قَليلَةً ، لنْ نَخافَ على الشَّرَفِ ، بل سَنَسْتَبْشِرُ خيْرًا بإفراغ الساحة لأهلِ العارِ ، الذين لن يجدوا من يحاربونه سوى بعضهم بعضا !

العزلة جنة الأرض يا أيها السلطان ، وما يبقى خارجها هو الغابة ، العزلة جسر السماء ، وأنا وأنت أيها السلطان ، في شرنقة هي المشكاة ، يضيء زيتها قناديل الشهداء في خيمة الخلد ... العزلة رُقْيَةٌ وارْتِقاء ، شهادة و استشهاد ، تَرَفُّعٌ ورِفْعَةٌ ، صون و أمن ، العزلة خشوع و بأس ، عرش وراية ، معركة و رحلة ، حضن و زورق يجدف نحو الأبدية ..العزلة هي الحرية أيها السلطان الأسير .

يا ايها السلطان ، لم يتبق لنا من معاركنا التي لا تنتهي سوى البداية ، ولم يتبق لنا من عزلتنا عن الزمن سوى انعتاقنا منه ، نحن وحدنا الأحرار ، ولأننا وحدنا فإننا استثناء ، ما دُمنا لا نحتاج سوانا لنكون أقوياء ، ونحن وإن خاصمتنا الدنيا ، ناصبناها الخصومة كرمى للاستثناء..

يا أيها السلطان لم يتبق لنا من تاريخنا ومن مستقبلنا ، من معاهداتنا أو من حروبنا ، من أسرارنا أو من أماناتنا ، من ذاكرتنا أو من تطلعاتنا ، لم يتبق لنا مما نملكه أو لا نملكه سوى أعدائِنا ، فما أجمل الأعداء أيها السلطان ...ما أجمل الأعداء !